الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

الملحقة الجامعية–مغنية–

قسم اللغة و الأدب اللعربي

تخصص : دراسات أدبية

مذكرة لنيل شهادة الماستر

تحت عنوان :

الشعر في ميزان الإسلام، شكلا ومضمونا

من إعداد الطالبة:

فاطمة الزهراء فيران

إشراف الأستاذة:

الدكتورة:عبد الرحيم خديجة

الاسم و اللقب	الرتبة	المؤسسة
د.بن عدي نورية	أستاذة محاضرة أ	الملحقة الجامعية مغنية تلمسان **رئيسة**
د.بلهبري أسماء	أستاذة محاضرة ب	الملحقة الجامعية مغنية تلمسان **ممتحنة**

السنة الجامعية : 2016/2015

شكر و تقدير:

إلهي لا يطيب اللّيل إلاّ بشكرك ، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك ، ولا تطيب الجنّة إلاّ برؤيتك .

أمّا وقد حان لنا أن نقدم هذا البحث ، فبعد حمد الله و شكره على نعمته و فضله لا يسعى سوى أن نتقدم بأخص التقدير و الشكر للأستاذة المشرفة الدكتورة " عبد الرحيم خديجة "التي نقول لها بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنّ الحوت في البحر و الطير في السماء، ليصلون على معلم الناس الخير "

كما نتوجه بالشكر الجزيل للأ ساتذة المناقشين : الدكتورة "بن عدّي نورية " و الدكتورة " بلهبري أسماء " على قبولهما مناقشة دراستي هذه .

إلى كلّ الذين مهّدوا لنا طريق العلم و المعرفة ، إلى جميع أساتذتنا الأفاضل إلى كلّ من ساهم في إتمام هذا البحث سواء من قريب أو بعيد .

الإهداء :

إلى من بلّغ الرسالة و أدّى الأمانة ، و نصح الأمة ، إلى نبي الرحمة ، و نور العالمين سيّدنا محمد صلى الله عليه و سلّم.

الى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حب

إلى من كلّت أنامله ليقدّم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهّد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير "والدي العزيز"

إلى من أرضعتني الحب و الحنان ، إلى رمز الحب و بلسم الشفاء

إلى القلب النّاصع بالبياض "والدتي الغالية"

إلى رفيقة دربي ووحيدتي "أختي حياة "

إلى من بهم أكبر و عليهم أعتمد ....إلى شمعة متّقدة تنير ظلمة حياتي

إلى من بوجودهم أكتسب قوتي و محبتي لا حدود لها ...

إلى إخوتي : محمد ، منير ، عبد القادر ، ياسين

و أبنائهم : يعقوب ، رميساء ، رودينا.

إلى روح جداي أهدي ثمرة جهودي إليكما في جنّة الرضوان الباقية إن شاء الله

إلى من تحلّوا بالايخاء ، وتميّزوا بالوفاء و العطاء ، إلى ينابيع الصدق الصافي

إلى من عرفت كيف أجدهم ، و علموني أن لا أضيّعهم ، صديقاتي : عتيقة

و فوزية.

إلى كل طلبة شعبة لغة و أدب عربي ماستر ، دفعة 2016م.

مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم ،علم الانسان مالم يعلم ،و الصلاة و السلام على من أعطاه الله جوامع الكلم ،فكان هداية للعرب و العجم ، أما بعد :

الشعر العربي هو أجمل الفنون الأدبية وأروعها ، و أكثرها رقة و تصويرا و بلاغة ، و فنون الأدب العربي كثيرة و متعددة من :نثر،وخطابة ، وقصص،و أمثال،ومواعظ وغيرها من الفنون . و لقد ظل الشعر العربي مسيطرا على عقول الناس و قلوبهم ، منذ بدايات العصر الجاهلي الى غاية يومنا هذا ، ولا غرابة في ذلك لأن الشعر هو التعبير عن مشاعر الناس ، وتجسيد لأفكارهم .

وقد حضي الشعر بمكانة مرموقة عند العرب ، وجعلوه ديوان فضائلهم وسجل مفاخرهم ووسيلة لتخليد مآثرهم.

ولعل النقلة التي أحدثها الإسلام بعد مجيئه في الحياة العربية بكل جوانبها ، كان لها أبلغ الاثر في الشعر العربي أنذاك، من حيث الألفاظ و المعاني والأفكار و الصور و الاخيلة .و جاء القرآن معجزا للعرب و العجم ،فوقفوا منبهرين من هذا الإعجاز الرباني الذي لم يجدوا له مثيلا ولا منافسا .

وما نطمح اليه في دراستنا هذه ،هو إنارة موقف الإسلام من الشعر و الشعراء مستندين في ذلك على الدلائل القرآنية .

وكان من دواعي اختيارنا لموضوع : "الشعر في ميزان الإسلام شكلا و مضمونا"،هو أنه موضوع ثري بالمعارف القيمة ، سواء على المستوى الديني أو المستوى الأدبي ،كما أنه يجمع بين عنصرين مهمين ، وهما الشعر و الدين الإسلامي، وهذا ما يجعلنا نقف أمام اشكال : كيف كان الشعر قبل مجيء الإسلام؟وكيف أصبحت مكانته بعد نزول الوحي ؟ وماهي الأبعاد الفنية و الفكرية، والأغراض الشعرية التي بنيت عليها القصيدة الشعرية ؟

ومن الإجرآت المنهجية التي اعتمدنا عليها في عرض مادة هذه الدراسة ،هي اجراءات وصفية تحليلية تاريخية على البوادر الأولى للشعر وكيف كان قبل مجيء الإسلام، والمسيرة التطورية التي حصلت له بعد ذلك ،وكذلك في ذكرأهم أعلام الشعر في تلك الفترة.

وفي محاولة منا للإلمام بجوانب الموضوع ،اتبعنا خطة بحث ، تنطلق من مقدمة ويليها مدخل ، وتنقسم الى ثلاثة فصول ، وتنتهي بخاتمة ، ففي المدخل تطرقنا إلى مكانة الشعر في العصر الجاهلي ، وفي الفصل الأول تعرضنا إلى الحديث عن مكانة الشعر في الإسلام ،بحيث وقفنا عن أثرالإسلام في الشعر من خلال مبحثين خصصنا الأول منهما لأثر القرآن في الشعر ،و الآخر لآثر الحديث النبوي في الشعر ،أما فيما يخص الفصل الثاني ، فقد عقدناه للحديث عن الأبعاد الشعرية في القصيدة الإسلامية ،وانقسم هذا الفصل إلى مبحثين ، الأول ندرس فيه البعد الفني و الثاني البعد الفكري ، وفي الفصل الثالث تعرضنا فيه للأغراض الشعرية في الإسلام ، وقد جزئناه إلى مبحثين ، أولهما :خُص بالمدح و الهجاء ، والثاني خُص بالغزل و الرثاء . أما الخاتمة فكانت خلاصة شاملة حول موضوع البحث ،وقد ساعدنا في إثراء بحثنا هذاهو مجموعة من المصادر و المراجع،

و المجلات و المقالات ،نجد منها كتاب الإسلام و الشعر لفايزترحيني ،وكتاب العصرالإسلامي لشوقي ضيف ، وكتاب الحياة الأدبية في عصر صدرالإسلام للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي.

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وامتناني للأستاذة المشرفة ، الأستاذة"عبد الرحيم خديجة "، التي شكلت دعما ماديا و معنويا كبيرا ، وسهلت سبل البحث في هذا المجال ،فأسأل الله تعالى أن يكون هذا الجهد في ميزان حسناتها .

و بحمد الله و عونه أتممنا بحثنا هذا ، و أسأل الله التوفيق و السداد.

مدخل

عرف العرب الشعر منذ القديم، أي حوالي مائة وخمسين إلى مئتي عام قبل مجيء الإسلام، والمراحل التي قطعها الشعر العربي حتى بلغ صورته في العصر الجاهلي ما تزال غامضة، ولع السبب يعود إلى عدم وجود التوثيق.

وأما كلمة "الجاهلية" التي أطلقت على هذا العصر فهي ليست مشتقة من الجهل الذي هو نقيض العلم والمعرفة بل هي: " مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والترف"[1]

وأطلق المصطلح على العصر القريب من الإسلام، أي الفترة التي سبقته مباشرة وكل ما عرفته من وثنية وتعصب وانتهاك المحرمات التي نهى الدين الإسلامي عنها.

"وقد اصطلح مؤرخوا العرب على تسميتها بعصر الجاهلية أو بالعصر الجاهلي استنادا على كلمة الجاهلية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بمعنى الحقبة من الزمن السابقة على الإسلام".[2]

كما وردت اللفظة في الذكر الحكيم، والحديث النبوي الشريف، والشعر الجاهلي نفسه، وفي تفسيرها تدل على العيش والغضب.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾.[3]

وقال تعالى أيضا: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً**﴾.[4]

وفي حديث النبي أن الرسول ثلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وقد عير رجلا بأمه: "إنك امرؤٌ فيك جاهلية".[5]

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، د،ت، ص39.
[2] تاريخ العرب في عصر الجاهلية، سيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت، دط،1971، ص13.
[3] سورة البقرة الآية 67.
[4] سورة الفرقان الآية 63.
[5] تاريخ الأدب العربي ،العصر الجاهلي ،د شوقي ضيف،ص40.

وفي معلقة عمرو بن كلثوم الثعلبي وردت اللفظة في قوله:

ألا لا يجهلن أحد علينا ☆ فنجعل فوق جهل الجاهلينا.[1]

ويقصد عمرو بن كلثوم في هذا البيت: " لا يسفهن أحد علينا، فنسفه عليه فوق سفهه أي نعاقبه بما هو أعظم من جهله.

وما نفهمه من هذا كله، أن اللفظة استخدمت للدلالة على الطيش والسفه ولا علاقة لها بالأمور العلمية أو المعرفية.

ونجد أن "جواد علي" يقسم الجاهلية إلى جاهلية بعيدة، وهي الجاهلية التي ولد فيها سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، وجاهلية قريبة التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم استدلالا منه بقوله تعالى: ﴿**وَقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**﴾.[2]

مما جعلنا نستنتج من هذا الحديث أنه وجدت جاهليتين، جاهلية قديمة وجاهلية أخرى التي ولد فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد اختلف العلماء في تحديد بدأ الجاهلية وتعددت الاتجاهات والتأويلات، لكن والذي يفهم خاصة من كتب الحديث هو أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، كانوا يعنون بالجاهلية: " الزمان الذي عاشوا فيه قبل الإسلام، وقبل نزول الوحي، فكانوا يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن أحكامها، وعن موقفهم منها بعد إسلامهم، وعن العهود التي قطعوها على أنفسهم في ذلك العهد، وقد أقر الرسول بعضها، ونهى عن بعض آخر، وذلك يدل على أن هذا المعنى كان قد تخصص منذ ذلك الحين وأصبح للفظة "الجاهلية " مدلول خاص في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم".[3]

---

[1] ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه الدكتور: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م، باب النون.

جواد علي: (1907-1987م) مفكر ومؤرخ عراقي، حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة هامبورغ سنة 1939، شغل عدة مناصب في العراق حتى نال لقب أستاذ متمرس.

[2]

[3] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي،بيروت، الجزء الأول، دط، 1918، ص40.

وعند رجوعنا إلى العرب في الجاهلية نجد أنهم كانوا:" جماعات من الأعراب البدائيين، يسكنون الخيام ويقطنون الصحراء، لا هم لهم إلا الغزو وانتجاع الكلأ وقد يصدق ذلك على بعض تلك القبائل أو على أقسام منها، غير أن الذي لا يتطرق إليه ريب فيما نرى أن قبائل كثيرة كان منها من يسكن الحواضر والقرى مستقرا ثابتا: فالأوس والخزرج كانتا تسكنان المدينة، وثقيف كانت تسكن الطائف وقريش البطاح كانت تسكن بطحاء مكة، وتغلب وبكر وإياد كان بعضها حاضرة تسكن الجزيرة وما بين النهرين، وعبد القيس كان منها حاضرة تسكن عمان والبحرين وغيرها من القبائل."[1]

ونجد أن الكثير من القبائل كانوا يقطنون في البوادي القريبة من الحواضر محيطين بها ومتصلين بسكانها، أما القبائل التي هي موغلة في الصحراء الضاربة في الفيافي، والبعيدة عن العمران عرفوا بقسوة قلوبهم وغلظت أكبادهم فوصفهم القرآن الكريم بشدة الكفر والنفاق، هؤلاء هم الأعراب، أما القبائل الأخرى التي ذكرناها سابقا فليسوا بأعراب.

وعرب الجاهلية لم يكونوا مجتمعا واحدا، وكانوا طبقات اجتماعية متباينة والقبلية في العصر الجاهلي تتألف من ثلاثة طبقات: أبناؤهما وهم الذين يربط بينهم الدم والنسب، وهم عمادها وقوامها، والعبيد أو الرقيق المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة، والموالي وهم عتقاؤها وهم الخلفاء الذين خلعتهم قبائلهم ونفتهم عنها لكثرة جرائمهم وجناياتهم."[2]

إضافة إلى هذا الإختلاف في طبقات المجتمع العبي في تلك الفترة كان: " يتخللها عادات حسنة أقرها الإسلام فيما بعد، كالنخوة والشجاعة وإغاثة الملهوف والكرم والحفاظ على الجار، ونهى عن عادات سيئة كانت منتشرة في الجاهلية، كالعصبية القبلية والتفاخر

[1] مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د: ناصر الدين الأسد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1978، ص108.

[2] تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د: شوقي ضيف، ص68.

بالأنساب والأحساب ونهش أعراض الناس والخوض في حديث الخمر أو معاقرتها وما إلى ذلك مما يلحق الضرر بالمجتمع والأفراد."[1]

فلم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم، فحياة الصحراء القاسية وسنين القحط التي بها العرب، الغني فيهم يجود بما لديه على الفقير، وغالبا ما كان يذبح إبله كي يطعم أهل عشيرته، أو الضيوف القادمين إليهم، ومن عادة العرب إشعال النار ليلا أمام الخيام أو على رأس الجبال لكي يهتدي إليهم من كان ضالا لطريقه في الفيافي.

ومن أشهر الذين عرفوا بالكرم في تلك الفترة حتى أصبح تضرب به الأمثال في الكرم حاتم الطائي الذي يصور لنا ذلك في شعره ويقول:

إذا ما بخل الناس هرت كلابه وشق* على الضيف الضعيف عقورها*

فإني جبان الكلب* بيتي موطأ* أجود إذا ما النفس شح* ضميرها[2]

فالبيت الشعري يشرح ويبين أهمية الكرم في حياة الشاعر خاصة والعرب في تلك الفترة عامة، أما البخل فليس من شيم الرجال.

كما كانوا معروفين بخصلة الوفاء بالعهود والوعود، فإذا وعد أحدهم وعدا أوفى به وأوفت قبيلته بما وعد.

وامتدحوا أيضا بالأنفة وإباء الضيم وإغاثة الملهوف وإنكارهم للظلم والهوان والدفاع عن الكرامة.

" على نحو ما مر بنا من ثورة عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند حيث علم باهانة أمه في بلاطه وكان نازلا معها عنده، فاستل سيفه وقتله، وتغنى شعراء تغلب طويلا بهذا الحادث

[1] دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام، زكرياء عبد الرحمن صيام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص8.

[2] ديوان حاتم الطائي شرحه وقدمه أحمد رشاد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1423هـ،2002م، ص29.

شق*: صعب ، العقور*: الذي يجرح، جبان، الكلب*: كناية عن الكرم ، موطأ*: مسهل، شح*: بخل.

مفاخرين بعزتهم، وكان للشجاعة والفروسية عندهم منزلة ليس فوقها منزلة بحكم حروبهم الدائرة التي لا لا تنى ولا تفتر."[1]

ومع كل هذه الخصال الطيبة التي اشتهر بها عرب الجاهلية إلا أنه لا ننسى أن نذكر الآفات التي كانت تشيع في تلك الفترة ولعل أهمها الخمر واستباحة النساء والقمار، وظهر ذلك جليا في أشعارهم خاصة في وصفهم للخمر ومعاقرتها، فيقول طرفة بن العبد في معلقته:

إن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تقتصني في الحوانيت تصعد

متى تأتيني أصبحت كأسا روية وإن كنت عنها ذا غني فاغن وازدد[2]

فهو يقصد في هذين البيتين أنه: مرة في جماعة القوم يشاهد أمرهم، ويخوض معهم في حديثهم، ومرة مع الشرب يلهو ويتنعم، فحيثما طلبته وجدته، وضرب الإقتناص مثلا: للوجود، والحوانيت، بيوت الخمارين والخمارون أيضا، وقوله أصبحك كأسا: أي أسقيك صبوحا، والكأس هي الخمرة في إناء ولإناء فيه خمرة.

"ومهما يكن فقد كانت الخمر وما يتبعها من استباحة النساء شائعة في هذا العصر وكان يشيع معها القمار والميسر، وأكبر دليل على شيوع تلك الآفات بينهم هي الآيات الكثير التي هاجمتها في القرآن الكريم ووصفه لها من عقاب صارم حتى يكف العرب عنها."[3]

فقد وضعت حدود صارمة لمن ينتهك هذه الحرومات، كالجلد أربعين جلدة لشارب الخمر، حتى تنتهي هذه الآفة السيئة من المجتمع الإسلامي.

أما الحياة المعيشية فلم يكن العرب يعيشون في الجاهلية معيشة واحدة، فقد عرف أهل الجنوب والشرق مثل خيبر، والطائف، وسشرب بالزراعة، أما أهل مكة فقد عرفوا بالتجارة، "

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي: د: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر الطبعة الثالثة، د.ت، ص69.
[2] ديوان طرفة بن العبد شرح الأعليم الشتمري، تحقيق درية الخطيب لطفي الصقال، مؤسسة العربية،
[3] تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د: شوقي ضيف، ص72.

إذ كانوا يحملون عروضها وسلعها بين حوضي المحيط الهندي والبحر المتوسط، وكانت قوافلهم تجوب الصحراء شمالا وجنوبا في طرق معلومة."[1]

فمكة منذ العصر الجاهلي كانت من أعظم المدن التجارية، لأن بها الكعبة التي يحج إليها العرب من أجل أصنامهم وأوثانهم، وفي تلك الفترة كانت قريش تقيم الأعياد والأسواق، وأشهر هذه الأسواق سوق مجنة وذي المجاز وسوق عكاظ، هذه الأسواق لم تكن للتجارة فقط بل كانت أيضا للمفاخرة والتحدي بالشعر والخطابة.

" وقد استمع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيس بن ساعدة وهو يخطب في الناس وقالوا إنه كانت تقام للنابغة فيها قبة، ويفد عليه الشعراء يعرضون شعرهم فمن أشاد به طار اسمه."[2]

وإذا رجعنا إلى المجال الدبي فقد عرف إزدهارا وتطورا في هذه الفترة، "بل تكاد هذه الفترة تكون مرحلة النضج الفكري لعرب الجاهلية لما تتميز به من بلاغة وفصاحة وحسن أداء في الشعر والنثر على السواء".[3]

وبهذا فقد حضي الشعر باهتمام كبير عند العرب فكان بحق ديوانا يعني بالفصاحة والبلاغة إلى حد كبير.

" والشعر الجاهلي وليد البيئة العربية ما قبل الإسلام واستطاع تصوير حياة العرب من كافة جوانبها وبكل أبعادها، فكان الأحق بأن يسمى سجل العرب الذي يدون أيامهم ومآثرهم وعاداتهم وتقاليدهم."[4]

وهو ذلك الكلام الصادق المنطوق النابع من إحساس داخلي غامض للشاعر وهو كما عرفه عبد الله بن رواحة بأنه: "شيئ يختلج في صدري فينطق به لساني."[5]

---

[1] المرجع السابق ص76.
[2] المرجع نفسه ص77.
[3] دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام، زكرياء عبد الرحمن صيام، ص8.
[4] المرجع نفسه، ص 7.
[5] العقد الفريد، بن عبد ربه، تحقيق مكتب تحقيق التراث، دار الاحياء، بيروت، الجزء الخامس، الطبعة الأولى، 1417ه، 1996م، ص243.

ونجد أيضا حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه بأنه:

وإن أصدق بيت لب المرئ يعرضه على المجالس إن كيسا وإن حمقا[1]

كما يمكن أن نعتبر الشعر لغة الخيال والعواطف، له صلة وثيقة بما يسعد ويمنح البهجة والمتعة السريعة أو الألم العميق للعقل البشري.

"وفي الأصل أن قول الشعر نوع من الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، فلا يمدح لذاته ولا يذم لذاته."[2]

وقد عرفه الخليل بن أحمد الفراهيدي 175 هـ " بأنه الكلام الموزون المقفى على مقاييس العرب"[3]، ولو أنه في هذا التعريف ركز على الجانب الشكلي فقط دون المضمون.

فالشعر العربي يكمن سحره في تكامل شكله مع مضمونه، الأمر الذي يجعلنا نميل للقصيدة ونطرب لها.

أ. **شكلا:**

يذهب الكثير من القدماء والمحدثين إلى أن الشعر بدأ في أول الأمر شكل مقاطع قصيرة أو ما يطلق عليها بالأرجوازات، ثم نما رويدا رويدا، حتى اكتمل في صورته قبيل بزوغ فجر الإسلام والمتمثلة في المعلقات الشعرية.

والعرب كانت تنظم قصائدها على منوال مخصوص، فيبدأ الشاعر قصيدته بمقدمة غزلية طلالية أو خمرية ببراعة في الأسلوب.

"وتكاد القصائد الطوال أن تتشابه في ذلك باستثناء معلقة عمرو بن كلثوم التي بدأها بوصف الخمر، فيقف الشاعر على أطلال محبوبته ويستوقف من يسير معه ويصف العرصات والأرام، ويذكر ما محت الريح من الديار، يقف الشاعر للعبرة والتأسي والتذكر."[4]

---

[1] ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د: سيد حنفي حسين، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص277.

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأبصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، الطبعة 2، المجلد 13، 1353هـ، 1935م، ص150.

[3] دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام، زكرياء عبد الرحمن صيام، ص8.

[4] شعراء العرب، العصر الجاهلي، يوسف عطا الطريفي، الأهلية للنشر والتوزيع، الملكة الأردنية، عمان، الطبعة الثانية، 2008، ص13.

ثم يلج إلى صلب الموضوع والغرض الأساسي منها قد يكون المديح أو الهجاء أو الفخر أو الحماسة أو الانتصار لشرف القبيلة وما إلى ذلك.

كما تتألف القصيدة من وحدات موسيقية يسمونها الأبيات، وتتحد جميع الأبيات في وزنها وقافيتها وما تنتهي به من روي.

"وهذه الأوزان الستة عشر تمثل في الواقع تنوعا موسيقيا واسع المدى يتيح للشعراء أن ينظموا في دائرته كل عواطفهم وخواطرهم وأفكارهم دون أن يجدوا تضيقا أو حرجا يضطرون معه إلى محاولة الخروج على هذه الأوزان يلائموا بين مادة شعرهم الجديدة وما تقتضيه من موسيقى وإيقاع خاصين."[1]

وفي بعض الأحيان يضطرب العروض في القصائد وهذا لا يحدث إلا قليلا كقصيدة عبيد بن الأبرص الأسدي التي يقول فيها:

أقفر من أهله ملحوبٌ فالقطبيات فالذنوب[2]

فالبيت من مخلع البسيط، وقلما يخلو بيت منها من حذف في بعض تفاعيله أو زيادة، وتتصف هذه القصيدة بكثرة زحافاتها وعللها واضطراب وزنها، وغرابة بحرها.

وهذا الأمر لا ينطبق على جميع قصائده، فهذه الزحافات تعد كأمور طارئة كانت تحدث لأغلب الشعراء، مما يدل على أن ذلك كان يأتي شذوذا وفي الندرة.

ب. **مضمونا:**

كانت العرب تنظم الشعر في موضوعات عديدة: " فقد نظمها أبو تمام (ت232 هـ) في عشرة موضوعات وهي الحماسة والمراثي، والأدب والنسب والهجاء، والأضياف ومعهم المديح

[1] اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجري، محمد مصطفى هدارة، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1963، ص535.

[2] ديوان عبيد بن الأبرص الأسدي، شرح أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1994م، ص19.

والصفات والسير والنعاس، والمدح، ومذمة النساء، وهي موضوعات يتداخل بعضها في بعض فالحديث عن الأضياف إما أن يدخل في المديح أو في الحماسة والفخر، والسير والنعاس يدخلان في الصفات، كما تدخل مذمة النساء في الهجاء، أما المدح فغير واضحة الدلالة."[1]

ويرى الدارسون أنه لا يمكن ترتيب هذه الموضوعات تاريخيا ولا من حيث النشأة والتطور، فالأصول الأولى لهذا الشعر انطمرت واندثرت في ثنايا الزمن.

"وفي أخبار العرب أن الشاعر كان إذا أراد الهجاء لبس حلة خاصة، ولعلها كحلل الكهان، وحلق رأسه وترك له ذؤابتين ودهن أحد شقي رأسه وانتعل نعلا واحدة."[2]

وما هو معروف لنا أن حلق الرأس كان من سننهم في الحج وهذا يعني أن شاعر الهجاء كان يتخذ نفس الشعائر التي يقوم بها في حجه أثناء دعائه لربه أو لأربابه حتى تصيب لعنات هجائه لخصومه.

ومن الموضوعات أيضا التي اهتم بها العرب قديما في أشعارهم هو رثاء لأبطالهم في قصائد حماسية لإثارة قبائلهم من أجل الأخذ بثأرهم.

" وقد قام بالقسط الأكبر من ندب الميت النساء، فكن يشققن جيوبهن عليه ويلطمن وجوههن، ويقرعن صدورهن ويعقدن عليه مأتما من الصويل والبكاء، فسابقتهن التي لا تنازع هي الخنساء، فقد قتل معاوية في بعض المعارك فارتفع نشيجها وبكاؤها عليه وقتل أيضا أخوها صخر فاتسع الجرح واتاعت لوعة شديدة."[3]

وإلى جانب الرثاء اهتم الشعراء بالمديح، الذي كانوا يتمدحون فيه بمناقب قبائلهم وسادتهم وأغلب الأحيان كانوا يمتدحون القبيلة التي تجاورهم متحدثين عن كرمها وشجاعة أهلها.

ومع أواخر العصر الجاهلي، اتخذ أغلب الشعراء المديح كوسيلة للتكسب، فكانوا يقومون بمدح السادة والملوك حتى ينالوا جوائزهم وعطاياهم الجزلة.

---

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د: شوقي ضيف، ص196.
[2] المرجع نفسه ص198.
[3] نفسه، ص209

بيت شعري للمتنبي يمدح فيه:

ولو رجعنا إلى الغزل لوجدناه منقسم بين ذكريات الشاعر وبين وصفه للمرأة وأغلب القصائد الجاهلية كانت تبدأ ببكاء الديار القديمة التي رحلوا عنها ولم يبق فيها سوى ذكريات شبابهم الأولى ومن ثم يقفون عند المرأة فيصفون جسدها ولا يكادون يتركون شيئا فيها دون وصف له. "ومن موضوعات شعرهم المهمة الوصف، وقد وصفوا كل شيئ وقعت عليه أعينهم في صحرائهم، وفي العادة يذكرون ذلك بعد غزوهم وتشبيبهم إذ يخرج الشعراء إلى وصف رحلاتهم في الصحراء."[1]

ولعل هذه الموضوعات كانت تتداخل في القصيدة الطويلة وكان يتداخل معها ضرب من الحكم والمعاني التهذيبية.

1- **الجانب اللفظي:**

كانت الألفاظ دقيقة الإستعمال، بحيث يلائمون بين الألفاظ والأغراض فتجد اللفظ القوي الرصين المتين في الفخر والهجاء، واللفظ الرقيق اللطيف الظريف في الغزل والرثاء.

"وقد استعانوا منذ أقدم أشعارهم، لغرض التأثير في سامعيهم، بطائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية، وأكثرها دورانا في أشعارهم التشبيه، فلم يصفوا شيئا إلا قرنوه بما يماثله ويشبهه من واقعهم الحسي فالفرس مثلا يشبه من الحيوان بمثل الظبي والأسد والفحل والوعل والذئب والثعلب ويشبه من الطير بالعقاب والصقر والقطاه والباز والحمام، ويشبه بالسيف والقناة والرمح والسهم."[2]

وليست التشبيه فقط، بل تعدد في شعرهم الكثير من الاستعارات، ويعطون عناية كبيرة لبعض المحسنات كالطباق والجناس والتي نجدها عند امرئ القيس في وصفه لفرسه إذ يقول:

مكر مفر مقبل مدبر معـا كجلمود صخر حطه السيل من عل

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د: شوقي ضيف، ص217.
[2] المرجع السابق ص 231.

كميت ينزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفراء بالمتنـزل[1]

وهذه المحسنات كان الشاعر الجاهلي يهتم كثيرا بها حتى يؤثر في نفوس سامعيه ويحرك ألبابهم وذلك إن دل إنما يدل على أن الشاعر العربي في الجاهلية كان يبذل جهدا فنيا وابداعيا حتى ينتج قصيدته بتلك البراعة والدقة.

2- الجانب المعنوي:

كان الشاعر الجاهلي يستوحي الصورة الشعرية من البيئة العربية ومن رحاب الصحراء الخلية، من سمائها ومائها ونسيمها وحرها، ورمالها وعنانها، إبلها، وظبائها، كل هذه الأشياء انعكست في قصائدهم، "وكانت البادية هي بيئة الشاعر مع أنه نبغ عدد من أهل المدن إلا أن فحول الشعراء هم من أهل البدو الذين سكنوا الخيام، ونجد أن خصائص الشعر تدور حول البادية بما في ذلك البساطة فلا تكلف ولا تفريع ولا تعليل، والصدق المتمثل في تعبير الشاعر عن حياته وبيئته بكل ما فيها وبجميع ألوانها كذلك النزعة الوجدانية المطبوعة في شعر الشعراء الذين يصفون شعورهم بصراحة، دون تلعثم أو تطرف بالإضافة إلى الخيال فهذا الأخير اتسع في العصر الجاهلي باتساع أفق الصحراء التي كانوا يعيشون فيها."[2]

كما أن الشاعر لم يقف طويلا عند المعنى الذي يلم به فهو لا يثبت ولا يستقر بل ينتقل من معنى إلى معنى آخر بالإضافة إلى بلاغة الإيجاز وتجنب الاطناب ولعل هذا ما جعل كل بيت في أغلب القصائد العربية ينفرد بمعناه.

"وبذلك لم يظهر عندهم ضرب من ضروب الشعر القصصي، فقد ظل شعرهم غنائيا ذاتيا يتغنى فيه الشاعر بأهوائه وعواطفه، غير محاول صنع قصة يجمع لها الأشخاص والمقومات

[1] ديوان امرئ القيس شرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1425هـ، 2004م، ص54.

[2] شعراء العرب، العصر الجاهلي، يوسف عطا الطريفي، ص16.

القصعية، ويرتبها ترتيبا دقيقا، فإن شيئا من ذلك لم يخطر بباله، إذا كان مشغولا بنفسه لا يهمه إلا أن يتغنى بها وبمشاعره."[1]

وهذه باختصار أهم الخصائص التي امتازت بها القصيدة العربية في تلك الفترة سواء في الجانب اللفظي أو المعنوي.

وكما ذكرنا سابقا فالشعر هو ديوان العرب وسجلهم التاريخي الذي يسجل مآثرهم وأحداثهم التاريخية، وقد حظي بمكانة هامة لدى العرب الجاهليين، وجعلوه من مقدماتهم.

"وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، ووضعت الأطعمة واجتمع يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، ودب عن أحسابهم، وتخليدا لمآثرهم وإشاذة بذكرهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبع فيهم، أو فرس تنتج."[2]

فالشعر في العصر الجاهلي قد صور آمال العرب وآلامهم، ومستودع وقائعهم ومفاخرهم وأحسابهم وأنسابهم وكل ذكرياتهم.

"وكان له سحره وروعة تأثيره في نفوسهم إذ كان صوت القبيلة ولسان القوم والذائد الحامي الذمار، والمدافع عن الأحساب والأنساب والشرف، والناطق بالحجة، والداعي إلى الخير وكان الشعراء ذوي مكانة كبيرة بينهم فهم الذين ينطقون بمجد القبيلة، ويفخرون بجلالها وماضي أيامها، وحسبك من مكانة الشعر عند العرب أنه لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن المعجز نظمه المحكم تأليفه وأعجب قريشا ما سمعوا منه قالوا ما هذا إلا سحر، وقالوا في النبي: شاعر نتربص به ريب المنون" [3]

---

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د: شوقي ضيف، ص226.

[2] الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، د: باديس فوغالي، جامعة عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، الطبعة الأولى، 1429هـ، 2008م، ص14.

[3] الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة 1، 1412هـ، 1992، ص216.

كما اعتبروه كوسيلة إعلامية وحيدة، "فكانت أهمية الشعر كبيرة أنذاك ومنزلته عظيمة جدا لدى الناس الجاهليين الذين كانوا يقومون بمناظرات شعرية في الأسواق الأدبية حتى يعلقون القصائد المختارة الممتازة المكتوبة بالذهب فب الكعبة المشرفة لروعتها وجودتها."[1]

وعرف ما يسمى بالمعلقات أو المذهبات، وهي من أجود القصائد في الشعر الجاهلي وقد أسميت بهذا الإسم:" لأن عرب الجاهلية كانوا إذا استجادوا القصيدة كتبوها بماء الذهب وعلقوها على جدار الكعبة."[2]

وعدت هذه المعلقات من أبلغ القصائد وأجملها وأصحابها هم:" امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، ولبيد بن أبي ربيعة، وعمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، والحارث بن حلزة."[3] وهناك من الدارسين من يضيف إليهم النابغة الذبياني وهناك من جعلهم عشرة ويضيف إليهم الأعشى، وعبيد بن الأبرص.

وقد نبغ في هذا العصر الكثير من الشعراء والشاعرات، ممن خلدت ذكراهم كتب الأدب والشعر.

"وكان الشعر في الجاهلية هو المقيد لأيامها، والشاهد على أخبارها والناطق بمجدها والمصور لمفاخرها، وكان لكل قبيلة شاعرها الذي يذود عنها ويناضل عن شرفها ويساجل خصومها وينازلهم في كل مجال وكانت العرب أمة يسحرها البيان وتروعها البلاغة ويستبد بإعجابها الشعر الجيد البليغ، وكان قوة فعالة في الحياة الجاهلية وكان له تأثيره في نفوس العرب وسلطانه في حياتهم وقدره وخطره فيما بينهم يرفع الخامل ويضع الفذ العظيم، وينوه بشأن القبيلة، ويزري بأعدائها وخصومها ويحفظه الناس ويروونه وينشدونه في كل مكان."[4]

---

[1] مجلة القسم العربي بجامعة بنجاب، العدد 19، مقالة الأستاذة شهناز ظهير: موقف الإسلام من الشعر، 2012م.

[2] الأدب الجاهلي، قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه، دكتور: غازي طليمات، أستاذ: عرفان الأشقر، مكتبة الإيمان، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، شعبان1412هـ، شباط 1992م، ص37.

[3]

[4] الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص217.

وكان للشاعر مكانة كبيرة في العصر الجاهلي، إذ يقول أبو عمرو بن العلاء بأنه: "كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخر شأنهم فلما كثر الشعر والشعراء اتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السرقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر."[1]

فقد كان الشاعر أرفع قدرا من الخطيب، إلى غاية أن كثر الشعر والشعراء، وأصبح الشعر يستخدم في أمور مشينة، وصارت قيمة الخطيب أرفع قدرا من الشاعر.

وعند مجيء الإسلام ونزول القرآن الكريم المعجز بالدين والأدب والبيان فأصبح الشعر الذي كانت له دولة لها نفوذ وسلطان، لا يذكر إلا قليلا مقابل صوت القرآن الذي غطى على بلاغة الشعراء، وفصاحة الخطباء وكان لتأثير الإسلام والقرآن في حياة العرب الدينية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية والعقلية، الأثر الكبير في حياتهم الأدبية والتي أصبح فيها الأدب بعد ظهور الإسلام يغاير أدب الجاهلية، ويصور تفكيرا غير التفكير الجاهلي وشعورا غير الشعور الجاهلي.

[1] المرجع نفسه ص219.

الفصل الأول

مكانة الشعر في الإسلام

الفصل الثاني

أبعاد الشعر الإسلامي

قبل الولوج في موضوع البعد الجمالي للقصيدة الإسلامية، بجدر بنا أن نعرج على مصطلح الجمال، الذي يحتل مكانة واسعة في النفوس بمجرد سماعه ،فالجمال هو حسن الشيء ونضرته وكماله على وجه يليق به، وهو يعتبر سمة من سمات هذا الوجود.

والإنسان كائن جمالي بطبعه، فمنذ بداية وجوده لديه منتوج جمالي (مثل :الرقص، الموسيقى....) بمعنى أن لديه القدرة على إنتاج ما هو جميل، بل والتفاعل معه والجمال الفني يعد عنصرا مهما من عناصر الجمال الأدبي، "فالبناء الفني اتجاه شامل لتحليل النص الشعري الذي يمكن من خلاله عرض أسس البناء الشعري، فهو مفهوم يشمل الشكل والمحتوى، ويعني بكافة تراكيب الشعر التي تتكون من مجموعة عناصر متشابكة اكتسبت خصائصها من تفاعلها داخل النص الشعري"[1].

ولعلّ ما يميز الشعراء عن بعضهم البعض، الجانب الفنيّ أو الجمالي، وهذا الجانب يتفاوت من شاعر إلى آخر، ويتّضح هذا التفاوت من خلال الكشف عن عناصر البناء وعن ماهية النص الشعري، ومدى تمتعه بصفة الشعرية." فالذي يصنع ذلك كله هو الأديب المسلم والشاعر المبدع، وهي مسؤولية عامّة، مسؤولية الجو الثقافي العام الذي لا يشجع حتى الساعة إلا على حديث ساخن ومشاعر جياشة، دون أن يفسح المجال للمشاعر الإنسانية الأخرى الطبيعية لكي تتغذى من رحيق هذا الفن النظيف"[2].

والقصيدة الإسلامية لا تلغي الجمالية الفنية، بل تحرص عليها كل الحرص وهي على الأغلب تستمد جمالياتها من المؤثرات التالية:

[1] مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري المعاصر، البناء الفني في الشعر الجزائري المعاصر مرحلة التحولات (1988-2000م) ،إعداد الطالب، كمال فنيش،جامعة منتوري للآداب واللغات، قسنطينة، 2009، 2010م، ص02

[2] مجلة الأدب الإسلامي، السنة 2، العدد 5، رجب 1415هـ، ص64

أ/ البعد الفني :

1- الأثر الطبيعي:

تحتل الطبيعة لدى الشاعر العربي بصفة عامة والشاعر الإسلامي بصفة خاصة مكانة سامية في حياته وإبداعه منذ القديم، وقد كان الإيمان البناء هو الذي جعله يستلهم مشاعره ويرتقي في أفكاره ،وهو يدرك بأنّ الذي خلق هذه المخلوقات لا يكون إلاّ قادر قدير من وراء سرّ هذا الجمال الربّاني "وهي تخلق في نفسيته انعكاسا جماليا لا مثيل له، سرعان ما يتحول إلى تأثر، فاستجابة والله عز وجل الجميل الذي يحب الجمال، لم يرغب منا الإعراض عن هذه الخاصية الكامنة في الوجود، بل طلب من الإنسانية —إلى حدّ يصل درجة الوجوب- أن تتأمّل تلك الخاصية وتتمثلها في أعمالها الوجدانية انطلاقا من الإيمان والإبداع وصولا إلى أبسط الممارسات وإلاّ ستفقد وظيفتها وسبب خلقها"[1].

والشاعر الإسلامي كان دائما متأملا لهذه الصور الربّانية، ومجسّدا لها في قصائده في حلّة جميلة.فهذا أبو تمام والبحتري، وابن الرّومي يقدمون لنا عن الطبيعة صورا ذات نشاط وحياة ومباهج فاتنة، فنسمع ابن الرومي يصف غروب الشمس وصفا تتراءى في المشاركة الوجدانية على شكل لم يسبق له فيقول:

وَقَد رَنَقَت شَمسُ الأَصِيل وَنَـَفَضَت عَلَى الأُفُقِ الغَربِيّ وحرسًا مزَعزِعاً
وَوَدعَت الدُّنيا لقَضَى نَحبَهَا وَشَولَ بِشِقّي عُمرهَا فَتشَعشَعَا.[2]

وهذا ابن المعتز نراه تستهويه الصورة فيأتي شعره في الطبيعة أية على أهداف حاسة البصر وحسن استقباله للألوان والأصباغ ودقة إخراجه للصورة والأشكال كقوله يصور احتجاب الشمس وراء السحب:

كَأَنَّ الشَّمسَ يومَ الغَيمِ لحظ مَريضٌ مُدنِق مِن خَلفِ يُسرِ

[1] جماليات الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، المكتبة الصافية، الدار البيضاء،الطبعة الأولى، 1986، ص53

[2] ديوان ابن الرومي ،شرح الأستاذ أحمد حسن يسبح، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1423هـ/ 2002م، ص820

وقوله يصف الهلال وصفا فيه بهاء الصورة وترفها:

أُنظُر إلى حُسنِ هِلاَل بَدَا يَهتِكُ مِن أَنوارِه الحَندَسَا

كَمِنجَل قَد صِيغَ من فضَّةٍ يَحُصُدُ من زَهرِ الدُّجىَ نَرجِسًا.[1]

فالشعراء استطاعوا أن يضيفوا إلى أوصافهم المادية للطبيعة حسًّا وذوقاً ،جعلهم يتألّقون معها ويستغرقون في نشوة جمالها.

"فالطّبيعة تربطها بملكة الشعر خيوطاً قوية متينة لا تنفعهم عراها، ومعها عاش الشاعر في عصور مختلفة ،فلابدّ أن تتّحد ملكته الشّعرية بالطبيعة رغب في ذلك أم لم يرغب، فإن الطّبيعة هي عود الثّقاب الذي يشعل ويدفئ الرّوح الشاعرة، ومنها وحدها تستمد روح الشعر قوتها، وإليها تتكلم هذه الروح باحثة عن الإنسان السليم"[2].

وإذا كان الشاعر الإسلامي يتخذ من الطبيعة النموذج فبالأحرى به أن يوظفها في إنتاجه الفني وينسجم بينها وبين المضامين والمحتويات ،"أما أن يغفلها ولا يوليها قدرتها أثناء الفعالية الإبداعية فيهتم فقط بالمضمون والمحتوى، فإنّ ذلك يعد سلبية لا تليق بالأدب الإسلامي، وقد لا تقدمه خطوة واحدة إلى الأمام"[3].

وبهذا تكون الطبيعة هي الملهم الحي الذي به ينظم ويعبر عن أحاسيسه.

2-الأثر القرآني:

إن الدين الإسلامي ،هو دين ليس كباقي الأديان الأخرى، فهو شامل محيط بكل القضايا الكونية، لأنّه:"دستور كامل لأيّ منهج فني يريد أن يعبر عن الحياة بتصور إسلامي أولا وكذلك على مستوى كوني"[4].

[1] ديوان ابن المعتز، دار صادر بيروت، دط، دت، ص258

[2] الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد، محمد زكي العشماوي، دار النهضة، بيروت، 1983، ص103

[3] جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، ص54

[4] منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط6، 1983، ص138

والقرآن لا يعادي الفن ولا يعارضه في أيّ حال من الأحوال ،"قصّة العداء بين الإسلام والفن قصة لا يمكن أن يكون لها أساس من الصحة"[1] .

فالآيات القرآنية لا تجذب السامع لمضامينها ومحتوياتها فحسب بل حتى لجمال فنية أسلوبها وحسن أدائها، بتناغم الأصوات، وانسجم الحروف، وفنية الصور، فكل هذه الخصائص الفنية والجمالية تضفي على النص القرآني بعدا جماليا، أدركه الإنسان العربي ويكفينا أن نقول بأنه كلام الله عزّ وجل ،الذي قال فيه سبحانه وتعالى:" قل لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولول كان بعضهم لبعض ظهيرا"[2].

ومن الشعراء الذين تأثروا بالآيات القرآنية وإعجازها، واقتبسوا منها نجد شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت متحدثا عن الشيطان:

وَلاَ هُم بِغرُورٍ ثمَّ أَسلَمَهُم إِنَّ الخَبِيثَ لِمن وَالاَه غرَارَ

وَقَالَ إِنِيّ لَكُم جَار فَأَوردَهُم شَرَّالمَوَارِدِ فِيهِ الخِزي وَالعَار[3].

فالشاعر هنا يقوم بتوعية المسلمين من الشيطان ومغرياته التي تزيحهم عن طريق الصواب، وذلك يعود إلى أن الشاعر الإسلامي بعد تأثره بكتاب الله أصبح شعره "تعبيرا عن دعوة الله الحقة، فأدخل فيه نزعة التوحيد، وزرع فيه مكارم الأخلاق، وسما بمعانيه وهذب من حوشي لفظه وغريبه، وإلى يومنا هذا لا يزال القرآن الكريم النبع الفياض الذي ينهل منه الأدباء والشعراء ويقتسمون من آية أروع الصور، وأبلغ الأساليب وأعذب الألفاظ ،فهو خير مقوم الألسنة، وأفضل كتاب في اللغة وأحسن مثال للأدب الرفيع لفظا ومعنا وأسلوبا كله من السهل الممتع"[4].

هذا هو القرآن الكريم ،فعند سماع آياته نجد أنفسنا في بحر فني يطفو عليه الجمال في كل مكان، فإذا وقفنا على القرآن نجده جمالا معجزا في حد ذاته ففي قوله تعالى:"﴿ **القَارِعَةُ *مَا**

[1] المرجع نفسه، ص139

[2] سورة الإسراء، الآية 88

[3] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 2، 1414هـ/ 1999م، ص123

[4] المستقصي في الأدب الإسلامي، د. زبير دراقي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1995م، ص22

القَارِعَة *وَمَا أَدرَاكَ مَا القَارِعَة *يَومَ يَكُونُ النَّاس كَالفَرَاشِ المَبثُوث *وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهنِ المَنفُوشِ *فَأَمَّا مَن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ *فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيةٍ، وَأَمَّا مَن خَفَّت مَوَازِينُهُ *فَأُمُّهُ هَاوِية *وَمَا أَدرَاكَ مَاهِية* نَارٌ حَامِية "﴾[1]، على المستوى الدلالي تبدو السورة واضحة في ذلك، ويمكن الوقوف عند المستوى الصوتي والتركيبي لها، فلقد حتمت كل آياتها بفتحة بعدها تاء تنطق هاء نتيجة الوقف، باستثناء الآيتين "**يَومَ يَكُونُ النَّاس كَالفَرَاشِ المَبثُوث وَتَكُونُ الجِبَال كَالعِهنِ المَنفُوشِ**"[2] اللتين انتهتا بالتاء والشين، كما أنّهما أطوال الآيات في السورة ،إضافة إلى الارتباط الوثيق بين شكل النص القرآني (الإيقاع والنغم والجرس والتركيب) وبين مضمونه والنتيجة التي نستخلصها من إيراد هذا المثال،هي أن شكل الآية وأسلوبها بما يحتوي عليه من خصائص ذكرت كل ذلك يخلق في نفسية المتلقي جمالية فنية رائعة حتما ولو لم يدرك عمق الآية ومحتواها.

والقصيدة الإسلامية لو امتثلت للرّافد القرآني، فإنّها بلا شك تكون رائدة الآداب العالمية.

"فحين نجد أن القرآن يختفي بمساعدة الطبيعة إلى حد يلفت النظر، فإننا نكون إسلاميين في فننا وقرآنيين حين يتشبع حسنا بهذه الحفاوة، ونحن بالتجاوب الحي مع الطبيعة في وضعها مشاهد جميلة متناسقة خارجة من يد المبدع العظيم ،ثم نحاول التعبير عن هذا التجاوب في صورة حية موحية جميلة"[3].

والأغلب أن الشاعر الإسلامي يملك القدرة على الإبداع الفني الجميل خاصة إذا ضمن إبداعاته نماذج من القرآن بطريقة فنية.

"فحين نجد القرآن يستخدم في التعبير طريقة التصوير، فإننا نكون قرآنيين حين تتخذ هذه الطريقة في تعبيرنا الفني عن المشاعر والخلجات والحركات والتصرفات لإحياء الصورة وتجسيمها وخلع الحياء عليها حتى تصل إلى الوجدان حية متحركة عميقة التأثير"[4].

---

[1] سورة القارعة.

[2] سورة القارعة ،الآية 3 و 4

[3] منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، ص140

[4] المرجع السابق، ص141

وهنا نقول بأنه كان للشاعر الإسلامي حظا كبيرا في اتخاذه من القرآن الكريم المصدر الأسمى في إبداعه الفني، دون أن ننسى الأحاديث النبوية الشريفة التي تعتبر بدورها أيضا ضمن هذا الإعجاز.

فالشاعر الإسلامي له حظّ كبير في البعد الفني الجمالي لاتخاذه من القرآن الكريم في إبداعه.

3-الانفتاح:

يعتبر الانفتاح رافد من الروافد التي تساعد الجمالية الفنية على تحقيق ذاتها في النصوص الأدبية.

"قد تكون تجارب المسلم الحياتية أغنى وذلك بفضل رؤيته الكونية الواضحة، التي تدفع صاحبها إلى الانغماس في الحياة بكل أشكالها ،ولكن ذلك لن يتحقق النتيجة المنشودة، بل لابد من المستوى الفني والجمالي الرائق، وإن الإتقان الذي يجعله الحديث النبوي واجبا ومسؤوليته، يدعوا الأديب إلى أغناء تجربته الجمالية باعتبارها الشرط الأساسي ومصدر الكون في العالم الشعري"[1].

فالشاعر الإسلامي ينبغي أن يكون محيطا وملما بالعلوم الإنسانية الأخرى حتى يخرج بالأدب الإسلامي من قوقعته، ويفك قيوده وذلك في حدود المعقول وما تنص عليه الشريعة الإسلامية.

4-التفاؤل:

تشكل خاصية التفاؤل على المستوى الاجتماعي ،بمثابة شحنة روحية للمسلمين يستمدونها من آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم

كقوله تعالى:"**إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرَا ،إِنَّ مَعَ العُسرَ يُسرَا**"[2].

والتفاؤل هو جوهر الحياة الاجتماعية، وهو سمة من سمات الأدب الإسلامي مرتبط كل الارتباط بالإيمان بالله سبحانه وتعالى.

[1] جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، ص56

[2] سورة الشرح، الآية 5 و 6

"ولقد انعكست هذه الصورة على الأدب الإسلامي، فترعرع هو الآخر في أجواء كلها أمل وتفاؤل بالمستقبل الإيجابي ،رغم السلبيات الواقعية التي يعاني من مرارتها الأديب صباح مساء، ويتلظى بشررها في جميع إحساساته وسلوكياته"[1].

والقصيدة الإسلامية دائما ما تسعى لرسم خط الأمل والابتهاج للوصول إلى الجمال، في صور تفاؤلية تستدعي الولوج أكثر إلى حقائق الموضوعات.

ب–ملامح جماليات القصيدة الإسلامية:

تعبر القصيدة الإسلامية، القصيدة ذات التصور الإسلامي الشامل والهادف للإنسان فيكون الشاعر المسلم فيها ملتزم وفق الإيمان الرباني.

"والقصيدة الإسلامية تحاول أسلمة الشعر شكلا ومضمونا، رغبة في تغيير الإنسان، وتوجيهه الوجه الصحيحة السليمة، التي تتمثل في التثبيت بالذكر الحكيم، والسنة النبوية الشريفة، وبناء حياة متوازنة، تجمع الجانب الدنيوي والأخروي، والإسلامية في الأدب تعني كل أدب ينطلق من التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان أو –على الأقل– ينسجم مع هذا التصور ولا يعارضه."[2]

والأدب الإسلامي هو مصطلح حديث ،نظر لظهور بعض الآداب الأخرى، وهو تسخير الأدب الراقي والجميل في إطار المفاهيم الإسلامية ،ومن أجل دافع ديني أكثر منه أدبي.

"وهو إبداع إنساني لا يختلف عن غيره من الإبداعات الإنسانية إلا في كونه نظيفا سامي المقاصد والغايات مرتفعا عن الإسفاف في شكله ومضمونه فهو مفتوح لكل لفظ عربي شريف، وكل معنى شريف"[3].

وقد نتساءل أحيانا عن السبب الذي منع المسلمين من استخدام هذا المصطلح قديما في أدبهم والجواب عن هذا بسيط وواضع :"فالمسلمون آنذاك صغيرهم وكبيرهم ،العالم منهم والأديب والمجاهد، والرجل البسيط ،المرأة والرجل، كلهم كانوا مسلمين في اعتقادهم وفكرهم وسلوكهم، ولا

[1] جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، ص57

[2] مجلة الأدب الإسلامي، العدد 22، 1420هـ، ص78 بقلم الأستاذ: حمداوي جميل

[3] مجلة الأدب الإسلامي، العدد 21، 1419هـ، ص112، بقلم الأستاذ :محمد بن سعد بن حسين

يتصور أحدهم أمرا خارج الإسلام ،فالإسلام منهج حياتهم، وبه يقيسون كل أمورهم، لذلك كانت أحكامهم على كل الأمور مصبوغة بصبغة المصطلحات الفقهية مثل: الزندقة، والإلحاد والتهتك....الخ ،وسار الأدب كما سارت جميع شؤون الحياة، وفق منهج الإسلام، لذا نرى أن الشعراء الذين أسلموا كفوا مباشرة عن قول الفاحش ولبذئ، أو ذكر ما يحرم ذكره، وأصبح شعرهم ملائما للإسلام، وموافقا لأحكامه، شأنهم في ذلك كشأنهم في كل نشاطاتهم وأعمالهم، وكانت تصدر صيحات الإنكار والمعارضة ضد من يخرج عن منهج الإسلام في قول أو عمل، بل قد يؤدي ذلك إلى إيقاع العقوبة بمن يقترف ذنبا في قوله كما حدث للخطيئة عندما سجنه الفاروق ،وكما حدث لأبي محجن عندما عاقبه سعد بن أبي وقاص"[1].

ومن ثم فالشعر الإسلامي هو شعر الحق والتغيير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتهذيب النفس الإنسانية وتطهيرها من شوائب المادة والطمع، وتضمين معاني القرآن والسنة في ثوب شعري جميل وسام، والجمع بين خطاب الإمتاع وخطاب الإقناع، وتبني الرؤية الإسلامية للقيم والوجود والإنسان.

والشاعر الإسلامي واع لكل ما يكتنف واقعه، من مخاطر تحف الأمة الإسلامية ويؤدي رسالته كاملة حتى يجسد القيم الأصيلة والخالدة.

والشعر هو فعالية لغوية في المقام الأول، وهو فن أداته الكلمة، لذا فجوهر الشعرية وسرها في اللغة ابتداء بالصوت، ومروا بالمفردة وانتهاء بالتركيب، وإذا كان الشعر تجربة، فالكلام تجل لتلك التجربة، ولعواطف الشاعر وأحاسيسه في تلك التجربة فالشاعر يعي العالم جماليا، ويعبر عن هذا الوعي تعبيرا جماليا ومن هنا كان الشعر بنية لغوية معرفية جمالية.

وهذا ما اعتمده الشاعر الإسلامي في قصائده ،فكما رأينا سابقا أن بعد مجيء الإسلام كان له تأثير كبير على جميع المجالات، بما في ذلك اللغة التي هذبها من الحوشية واللفظ الغريب،"فاللفظ على قدر المعنى وكأنما رسم له رسما ،وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام ولا عن القلوب، بل يقترب منها

[1] الأدب الإسلامي أصوله وسماته، محمد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة ،بيروت، لبنان، الطبعة 2، 1416هـ، 1996م، ص43-44

حتى يلمس الشغاف ومما لاشك فيه أن القرآن هو الذي ابتدع هذا الأسلوب المحكم، بل هذا الأسلوب السهل الممتنع الذي يلذ الآذان حين تستمع له والأفواه حين تنطق به والقلوب حين تصغي إليه، هذا الأسلوب الذي يميز عربيتنا"[1].

وهذا الأسلوب البالغ في الروعة، هو الذي أقام عمود الأدب العربي منذ ظهوره فعلى هديه أخذ الخطباء والكتاب والشعراء يصوغون آثارهم الأدبية مهتدين بآياته الكريمة وحسن مخارج الحروف فيه، ودقة كلماته وعباراته.

ولا يزال أدباء يشقون من فيضه وينهلون من نبعه الغزير ما يقوم ألسنتهم، ويكفل لهم إحسان القول دون تكلف في جلب الألفاظ من بعيد.

[1] العصر الإسلامي، شوقي حنيف، ص32

أ / البعد الفكري:

-العوامل المؤثرة في الشعر الإسلامي:

الأدب الإسلامي هو أدب متجذرا في تربة التاريخ، كان قد شهد بدايته الفعلية مع الدولة الإسلامية الراشدة، ونزول القرآن الكريم، غير أن المصطلح كأدب إسلامي لم يكن موجود لأن الآداب كلها في تلك الفترة كانت مرتبطة بالإسلام ،ولم يأت التخصيص إلا عند ظهور أجناس أدبية أخرى، وآداب أجنبية مختلفة.

"والشعر الإسلامي لم يعرف غيابا عن حركة التاريخ في يوم من الأيام، لأنه مرتبط بالأرضية الفكرية والنفسية التي يقف، ويتوقف عليها الإنسان العربي والمسلم ولأنه ممتزج بالآلام وآمال ذلك الإنسان، ولعل كل ذلك ما يفسر قسطا من سبب بقائه ومشروعيته استمراره منذ أزيد من أربعة عشر قرنا، رغم الفتور الذي يلاحظ بصدده في بعض المراحل التاريخية، بل حتى الفترات الموغلة في الانحراف والابتعاد عن الالتزام بسلوكيات الإسلام لم يخل من كثير من الومضات الإسلامية في الأدب، ويكفي أن نشير هنا إلى بعض قصائد أبي نواس، وبشار، وأبي العلاء المعري، وغيرهم كثير وممتد عبر طول مساحة التاريخ الإسلامي."[1]

ومن العوامل التي أثرت على الشاعر المسلم حتى أنتج هذا الأدب الراقي والجميل، والهادف الذي يحمل رسالة سامية هدفها إصلاح الفكر العام نجد:

1/العامل الديني:

إنّ الإنتاج الأدبي بصفة عامة، والشعر بصفة خاصة مكان تجتمع فيه تأثيرات متعددة ولا مناص للأديب منها، بما في ذلك الأثر الديني وبعد نزول الوحي ومجيء الإسلام بكل تعاليمه وتفاصيله المعجزة وقف الشعراء مذهولين أمامه بحيث أعجزتهم بلاغته وفصاحته،وتأثروا به كل التأثير "وقد ارتبط الدين بالوجدان الإنساني ارتباطا وثيقا عبر العصور والأجيال ولا يخفى ما للدين من أهمية في حياة الناس، لما له علاقة بعواطفهم، إذ ليس هناك عاطفة أقوى من عاطفة الدين، ومن هذا

[1] جمالية الأدب الإسلامي ،محمد إقبال عروي، ص20

المنطق يوظف الأديب تراثه الديني ضمن إنتاجه الأدبي واعيا أو غير واع، مباشرة أو غير مباشرة مثيرا في القراء مشاعرهم الدينية بغية تلقي استجابة أكثر من قبلهم"[1].

والإنسان بطبعه كائن ضعيف، عرف منذ الأزل ببحثه عن قوة يتكئ عليها وعن عقيدة ينظم بها قوانينه، وهذا ما عرف به الجاهليين حين اتخذوا من الشمس والأصنام وغيرها آلهة لهم.

لكن بعد مجيء الإسلام توضح هذا الإبهام وزالت الشكوك والغموض هذا الدين الذي أحدث نقلة نوعية في الشعر العربي لأنه ارتكز على جملة من الضوابط الأخلاقية السامية، حاملا معه المودة والتسامح والنخوة والإباء، والقيم النبيلة ،نابذا للفسق والفجور والنميمة، والحقد والكراهية، وكل ذلك تجلى في آيات القرآن الكريم ،والأحاديث النبوية الشريفة، لذلك كان لابد من أن يؤثر تأثيرا جليا في الشعر وبالشعراء على وجه الخصوص.

وبدأ الشعراء يدعون في شعرهم ما تعلموه من الإسلام وبدأ يظهر أنماط جديدة في الشعر كشعر الجهاد وشعر الفتوح الإسلامية ،كما استخدموا الأغراض التي كانت عندهم في الجاهلية في أمور دينية مثل المديح الذي ظهر على شكل ما يسمى بالمديح النبوي ،وهو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ،واستخدموا الفخر لتصوير الشجاعة والكرم والعفة والافتخار أيضا بالجهاد والإيمان والتقوى.

وقد بات واضحا أن الإسلام قد أوجد مواضيع جديدة ليكتب فيها الشعراء، وقد أبدعوا في توظيفها، ومما زاد من فصاحتهم وبلاغتهم هو تأثرهم بالقرآن الكريم واشتغالهم بحفظه الأمر الذي جعل الشعر يزدهر تحت الحكم الإسلامي، فلم يكن تأثيره دينيا فقط بل شمل جميع مناحي الحياة.

2/العامل النفسي:

يعتبر العامل النفسي شرط للفن ولازم له، فما كان للفن أن يجد طريقه إلى الخارج متجسدا في جنس من الأجناس الأدبية المختلفة بما في ذلك الشعر ،لو لا أن سبقته مجموعة من المعاناة النفسية والانفعالات الوجدانية والشاعر العربي قبل مجيء الإسلام كان يعاني من اضطرابات نفسية،

[1] مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد5، سنة 2011م، التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية بقلم الدكتور محمد خاقاني اصفهاني، ص5

وتساؤلات "ومع انبعاث الإسلام ،تحول هذا التوتر من الجانب الوجودي إلى الحقل الاجتماعي لاسيما وأن العقيدة الإسلامية قدمت، ولا تزال الأجوبة الصادقة لما يحيط بالإنسان من أين وجدت؟ كيف وجدت؟ ولماذا؟ ...."[1]

وهذا الاستقرار العقائدي أثر في نفسية الشاعر المسلم، وقام بتهذيبها وتوجيهها "وإذا كان الأدب عامة ضرورة من ضروريات الحياة، فإن الأدب الإسلامي أكثر ضرورة لأنه يخلق للأديب المسلم معادلا موضوعيا لمعاناته النفسية، وقناة لانبثاق توتره الداخلي، وكل هذا يدعو إلى إيجاد الأدب الفمين بحمل تلك الوظيفة الخطيرة"[2].

وعمق البعد النفسي للشعراء هو الذي جعلهم أكثر وعيا بمفعول الأحداث التي تحيط به أكثر من غيرهم، فجاء توظيفهم لهذا العامل النفسي بارزا ومتنوعا في أشعار .

3-العامل الاجتماعي:

قد نجد أن هناك تكامل بين العامل النفسي والعامل الاجتماعي إذ يمك اعتبار الأول كنتيجة طبيعية للثاني.

فقد نشأ الأدب العربي كما ذكرنا سابقا في الجزيرة العربية في كنف بيئة صحراوية، أين تشكلت الركيزة الأساسية للغة العربية والإسلامية وللأمة العربية .

"تلك هي البيئة التي نشأ فيها الأدب العربي :بيئة الصحراء والأفق الطلق والشمس المشرقة والرؤيا البعيدة وسماحة البلدية وطابع الكرم والغيرة على العرض وحماية الذمار وبيئة المراعي والأمطار والتطلع إلى فضل الله في إطار الصبر والمصابرة"[3].

فكل هذه العوامل لعبت دورا كبيرا في نبوغ الشعر والشعراء وجسدوها في أشعارهم.

والدين منذ القديم معروف عنه بأنه ضمير الأمة ومجهرها ،بما في ذلك الشعر الذي اتخذه الشعراء المسلمون كسلاح للذود عن الدين وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ،وأصبح للشعر مكانة مهمة،

[1] جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، ص23

[2] المرجع نفسه، ص24

[3] خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، الطبعة 2، 1985، ص21

بعدما كان يستعمل لأغراض أخرى منافية للدين والأخلاق وإثارة العداوة بين الناس فأصبح لخدمة المجتمع الإسلامي الذي كان ويلات كثيرة.

4-العامل الأدبي:

إن الحقل الأدبي يحتل مكانة بارزة في الحياة الثقافية للأمم والشعوب ،إذ يقوم بتغذية العواطف وتنمية الأحاسيس والوجدانية ويسعى إلى الرقي والارتفاع إلى معاينة الوجود في طهره ونقائه.

وهذا العامل الضروري للنفس الإنسانية، كضرورة الغذاء للجسم، ومن دونه نكون عرضة للاختناقات والاضطرابات النفسية

"ونفسية المسلم لا تند عن هذا الإطار، فهي في حاجة إلى غذاء أدبي ملائم، وإلا صارت عرضة للأمراض الأدبية المتعددة التي تنتج حتما مع الإدمان على مطالعة الأدب العيشي والفن الساقط في أوحال اللامبالاة"[1].

والغريب في الأمر أن هذه الحقيقة تغيب عن أذهان الكثيرين فلا يقدرون قيمة الأدب ويعتبرونه من لغو الحديث، دون إدراك الدور المهم لهذا الجانب، وتفضيلهم للأمور العلمية أكثر من الأدبية.

وهذا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) يوصي خالد بن الوليد في إحدى المعارك عندما قال له:"حاربهم بما حاربوك فإن حاربوك بالرماح فحاربوهم بالرماح، وإن حاربوك بالسيف فحاربوهم بالسيف...." وأضاف إلى قول أبي بكر الدكتور يوسف القرضاوي

و"إن حاربوك بالأدب فحاربوهم بالأدب"[2].

والمقصود من هذا القول أن بمثل ما حاربك عدوك حاربه، والأدب بدوره سلاح معنوي وإن قلنا أخطر من السلاح المادي.

[1] المرجع السابق، ص26

[2] جمالية الأدب الإسلامي، محمد إقبال عروي، ص28

ب–صفات الشعر الإسلامي:

/الالتزام:

وهذا المصطلح يدل في مفهومه العام أن الفرد أو الجماعة تتبع نظاما في الحياة، فلا تستقيم الأمور إلا به.

فحياة الفرد لا تنتظم إلا بالتزامه نظاما معينا في معيشته ،وفي علاقاته بأفراد الأسرة والمجتمع ،ففي كل مجتمع من المجتمعات البشرية نظم وقوانين وضعت خصيصا لتنظيم الحياة وتنسيق العلاقات بين الناس في كل المجالات الحياتية هذا فيما يخص الالتزام بمعناه العام والشامل، أما إذا أرجئناه إلى الأدب فالالتزام في الأدب بصفة عامة والأدب الإسلامي بصفة خاصة، فهو أمر قديم قدم الفنون والآداب، "فالأدب الإسلامي قديمه وحديثه، ملتزم بالرؤية الإسلامية تجاه الكون والحياة والإنسان، فالفن الإسلامي عموما والأدب خصوصا، كان عبر رحلته الطويلة ملتزما ولا يزال ملتزما بالقضايا الاجتماعية والعناصر الفنية للأدب، وعندما يغيب الالتزام عن معترك الحياة وساحة الأدب تميل الأمور الاجتماعية والفنية نحو الميوعة والانحلال والابتعاد عن الأعراف والتقاليد، مما يؤدي إلى اضطراب فني واجتماعي على حد سواء"[1].

والالتزام لا يشكل قيدا لحرية المبدع، وليس مناف للقيم الفنية والجمالية، ولو كان كذلك لما نجح الملتزمون الذي استشهد بنجاحهم ليصل في النهاية إلى الدعوة إلى الالتزام بالتصور الإسلامي في الأدب "وأن الأديب المسلم أن يحرص على التزامه بالتصور الإسلامي في كل إنتاجه، فهو أولى من غيره بهذا الالتزام لما يحمله التصور الإسلامي من رحابة وشمولية ،وأن يحافظ على القيم الفنية والجمالية في أدبه ويسعى إلى التطوير والإبداع فالالتزام لم ولن يكون عائقا في طريق الإبداع"[2].

ولقد استطاع الشعراء المسلمون تحقيق هذا الالتزام في شعرهم ،وساعدهم على ذلك العقيدة الإسلامية، وقد ألبسوا للشعر ثوبا من روح الإسلام، وهذا إن دل إنما يدل على إيمانهم بقضايا دينهم

[1] مجلة الآداب واللغات–الأثر– جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد6، ماي 2007م، ص85

[2] مقالة الدكتور، حسن بن حجاب بن يحي الحازمي، عضو هيئة التدريس بكلي الآداب بجامعة جازان، حول "إسهامات نجيب الكيلاني في التنظير للأدب الإسلامي، ص12

وجهادا في سبيل إرضاء الله تعالى، ومنفعة لمن هم حوله من الناس وإفادة لهم، وخصوصا إذا رأى الشاعر أمامه الإسلام يدنس بأشكال الكفر والإلحاد والزندقة والفجور، الذي يحفز في نفسيته:

وَأَصبحَ لاَ يرَى في الرَّكبِ قَومِي وَقَد عَاشُوا أَئِمَّةً سنِينَا

وآلمَنِي وَآلمَ كُلّ حَر سُؤَال الدَّهرِ أَينَ المُسلِمُونَا [1].

والسفر الإسلامي الملتزم، وحده هو من يبحث عن الحقيقة دون نفاق أو تزوير فهو يدل على عدم خضوع الشاعر المسلم وانطوائه على ذاته، وعدم استسلامه للضياع واليأس.

وقد فهم أدبا المسلمين ذلك فما صحيحا:"إذا جاء الالتزام بذلك في موقف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من النعمان بن عدي، والي ميسان ،في أبياته التي قال فيها:

فَمن مَبلَغِ الحَسنَاءِ أنَّ خَليلهَا بِميسَان يَسقِي رِجَالَ وَحنتم

إذَا شِئتَ غَنَتنِي رَهَاقِينُ قَريةٍ وَصنَاجَة تَحبُو عَلَى كُلّ مُنسَّمِ

لَعَلَّ أَمِير المُؤمِنِين يَسُوؤُهُ تَنَادَمنَا فِي الجَوسَقِ المُتهَدِمِ

فلما بلغ بذلك عمر قال:أي والله ليسوؤني ذلك، وبعث إليه:"وأيمّ الله أنه ليسوؤني وقد عزلتك"، فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر، فقال النعمان :"والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط، وما ذاك الشعر إلا شيء طفح على لساني" ،فقال عمر:أظن ذلك ولكن والله لا تعمل لي عملا أبدا" [2].

والعلاقة بين الدين والفن ،والذي يعد الأدب فرع من فروع الفن، هي علاقة وطيدة فالدين يتغنى بالفضائل الإنسانية، ويدعو إليها، وكذلك هو الحال بالنسبة للفن الذي من مقوماته الصدق والأصالة الفنية، والمضامين السليمة، والدين مادته الحياة والنفس الإنسانية ومقوماته الصدق والأصالة والمثل العليا.

أمّا غاية الفن فهي الإمتاع والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل، وغاية الدين لا تخرج عن إسعاد البشرية ونشر الفضيلة بين بني البشر.

[1] الواقعية الإسلامية في الأدب والنقد، أحمد بسام ساعي، دار المنار ،السعودية، جدة، ط1، السنة 1985، ص88

[2] مقدمة في دراسة الأدب الإسلامين مصطفى عليان، دار المنار، السعودية، جدة، ط1، 1985، ص165

"ولا جدال في أن علاقة الأدب الإسلامي بالمجتمع علاقة وطيدة، مستمدة من التطور الإسلامي العام للمجتمع لذا يأخذ على عاتقة مهمة الاهتمام بقضايا المجتمع وشؤونه ،وما أن الإسلام حياة الأفراد والمجتمعات، فإن مسألة الالتزام في الأدب ينبغي أن تكون محل تقدير من قبل الجميع، فيجب على الأديب المسلم أن يبرز القيم العقدية والخلقية في إنتاجه الأدبي، وإذا كنا ندرك أن الأدب الإسلامي لا يمكن أن يحيا بمنأى عن الالتزام ،فهذا لا يعني أبدا أننا نريد له أن يكون أدب دعوة، ذلك دون المستوى المطلوب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إذا كان الأدب الإسلامي –كما يعتقد البعض– محصورا في الدعوة ،فأين نضع مثلا الأدب الذاتي الذي يتحدث عن هموم الفرد وعواطفه؟ وفي أي خانه نضع مثلا أدب الرثاء وشعر الطبيعة؟ ومن هنا لا نريد للأدب الإسلامي الملتزم أن يهتم بمضامين دون غيرها، وإنما نريد له أن يهتم بكل الأغراض، وبكل الأجناس الأدبية".[1]

وكل ذلك يعني بأن الالتزام في الشعر الإسلامي يجمع بين الفردية والجماعية، ولا يتحرج في أن يتسع مجال القول في جميع القضايا، فالأدب مفتوح على المجتمع وعلى العالم والأدب الإسلامي لا يعيش بمعزل عن الأحداث المتفاعلة في تحريك الحضارة، ولا يخرج عن الأهداف العامة التي ترسمها المفاهيم الإسلامية والأحداث.

[1] مجلة الآداب واللغات،"الأثر"، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد6، ماي 2007م، ص89

الفصل الثالث
أغراض الشعر الإسلامي

لم يقل الشعراء المخضرمون في صدر الإسلام في كل الأغراض التي كانوا يخوضون فيها في القول في الجاهلية، فقد اختلفت من شعرهم الأغراض التي تصور طيش الشباب ونزوات النفس، كالغزل الحسي الفاحش ،والهجاء المقذع ،والخمريات....وغيرها، لأن تعاليم الدين الجديد كانت محرمة لذلك النزوات في مقابل ذلك قويت أغراض شعرية أخرى، فشاعت وذاع صيتها بين الشعراء لأن الحياة آنذاك اقتضتها ،كالمدح، والهجاء، والرثاء....وهي الأغراض التي سنتطرق لها فيما سيأتي.

1-المدح:

والمديح هو صدق نوايا الشاعر المادي وتمجيده للأخلاق العليا والمثل القويمة التي يرتضيها المجتمع ، وهو فن من فنون الشعر يقوم على عاطفة الإعجاب، ويعبر عن شعور تجاه فرد من الأفراد، أو جماعة أو هيئة ملك على الشاعر إحساسه، وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مدحه.

والمديح من أقدم الفنون الأدبية، وأبرزها عند العرب، بحيث رافق هذا الغرض الشعر منذ نشأته الأولى، حتى طبع الأدب العربي بطابع المديح وبات من الصعب أن نجد شاعرا عربيا من العباقرة لم يصطنع المديح، لدرجة أن امتلأت الدواوين بهذا اللون وغدت قصائدهم شكل القسم الأكبر والغالب في إنتاج الشعراء.

"وتعود العرب منذ العصر الجاهلي أن ينوهوا في أشعارهم بأشرافهم وذوي النباهة منهم ويتحدثوا عن خصالهم النبيلة من الكرم والشجاعة والحلم والوفاء وحماية الجار، وكان لا يد السيد فيهم كاملا إلا إذا تغنى بنباهته ومناقبه غير شاعر، ومضوا على هذه السنة في الإسلام".[1]

والمدح في صدر الإسلام كان الغرض منه مغايرا على ما كان عليه في الجاهلية، ففي الجاهلية كان أغلب الشعراء يمتدحون الناس بغية التكسب، ونيل العطايا ،أما بعد مجيء الإسلام فقد انبرى الشعراء المسلمون في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في الدفاع عن الإسلام، بغية المثوبة والأجر من الله تعالى، وبغية تعريف الناس بخلق النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الشعراء الذين نبغوا في هذا المجال نجد حسان بن ثابت، الذي اقتصر مدحه في صدر الإسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه وكبار الصحابة، الذين أولوا في الدفاع عن الإسلام بلاءا حسنا، وهو مدح يختلف عن المدح التكسبي ،فهو وصف للخصال الحميدة والرسالة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم.

[1] تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة مصر ،الطبعة 20، 2002، ص215

ويقول حسان بن ثابت في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم:

نَبِيٌّ أَتَانَا بعدَ يأسٍ وفَترةٍ مِنَ الرُّسلِ والأوثَانِ فِي الأرضِ تُعبدُ

فَأَمسَى سِراجًا مُستنِيراً وَهادِياً يَلُوحُ كَمَا لاَحَ الصَّقِيل المُهنَّدُ

وَأنذَرنَا نَارًا وبشر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمد

وأنتَ إلهُ الخلقِ ربي وخَالِقي بذلكَ ما عمرت فِي النَّاسِ أشهدُ

تعَاليتَ ربُّ النَّاسِ عن قولِ من دعَا سِواكَ إلهًا أنتَ أَعلَى وَأمجَدُ

لكَ الخلقُ والنَّعمَاءُ والأمرُ كُله فَإياكَ نَستهدِي وإيَّاكَ نعبدُ[1]

فالشاعر هنا في هذه الأبيات يبين كيف أن العرب والعالم بصفة عامة كانت تعيش في ظلمة الجهل والتيه، وما إن أتى الرسول صلى الله عليه وسلم حتى استنار كل شيء وذهب الغموض، كما ندد بفضل الله عليه وبوحدة ربوبية وعدم إشراكه بالخالق سبحانه وتعالى.

"والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن راغبا في أن يمتدحه الشعراء بما كان يمتدح به الملوك، بل كان همه أن ينصرف الشعراء إلى التأكيد على أمور الدين الجديد، والعمل على نشره بين الناس والتمكين له في الأرض، وكذلك كان موقف من جاء بعده من الخلفاء الراشدين، فلم يعرف عن أحد منهم أنه كان يتخذ مجلسه ندوة للشعراء، يتبارون في مدحه استزادة في عطائه، كما حصل فيما بعد".[2]

لذلك نجد أغلب ما جاء في مدائح الشعراء المسلمين في عصر صدر الإسلام كانت وراءها أهداف دينية وسياسية وهي الإيمان بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم الحكيمة والانقياد لها ويقول كعب بن مالك في مدحه للرسول عليه السلام:

لم الإِلَهُ به شعثاً ورم به أُمورَ أمَّتِه والأمرُ مُنتشِرُ

[1] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرحه وكتب هوامشة الأستاذ :عبد أمهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، ص14

[2] ديوان كتب بن مالك الأنصاري دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، ص93

ويقول أيضا:

فِيناَ الرسُّولُ شِهابٌ ثمَّ يتبعُه نُورٌ مُضيءٌ له فَضلٌ على الشُّهُبِ

بدَا لنَا فاَتبَعناَه نَصَدّقُه وكَذَّبُوه فَكُناً أَسعدَ العَرَبِ

وقوله كذلك:

وَفِيناَ رَسُولُ اللهِ نتبَع أَمره إذاَ قَال فِينا القَولُ لا نتطَلَّعُ

تدَلىَّ عليه الروحُ من عندِ رَبِّهِ يَنتزِلُ من جَوِّ السَّماء ويَرفعُ[1]

فكعب بن مالك هنا يصور مثله الأعلى من خلال مدحه وتعديد لصفات الممدوح، من منطق إيمانه بالعقيدة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

2-الهجاء:

كلمة "هجاء"، كما اصطلح عليها لغويا فهي لسان العرب بعدة أضرب، "فالهجاء:وهو الضفدع، وهجو يومنا: أي اشتد حره، وهذا على هجاء هذا: على شكله وقدره ومثله، والمرأة تهجو زوجها:أي تذمه وتشكو منه".[2]

وكل هذه المعاني تتصل بكلمة "هجاء"، فالهجاء في معناه الأدبي "قد يكون مأخوذا من الضفدع فهو قبيح الشكل، وبشع الصوت، وقد يكون مأخوذا من اشتداد الحر وقدي يكون مأخوذا من الأصل الهجائي، فهو يكشف عن سيئات المهجو".[3]

فالهجاء بمعناه الأدبي فن من فنون الشعر، يصور عاطفة الاستهزاء والاحتقار والغضب، وهو باب قديم من أبواب الشعر.

"والهجاء هو نقيض المدح، وأبلغ الهجاء ما كان يسلب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعقل وما يجري مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضئيلة الجسم وقصر القامة وما في

[1] المصدر نفسه، ص94

[2] لسان العرب،

[3] الهجاء في الأدب الأندلسي، دكتور فوزي عيسى، دار الوفاء للنشر، الطبعة 1، 2007 ،الاسكندرية،مصر ،ص11

معنى ذلك بليغا مرضيا، أي الهجاء هو الذي يزري بأخلاق المهجو لا بخلقته"[1]. وفن الهجاء مر بعدة مراحل على مدى عصور الأدب، وتغيرت مفاهيمه وأساليبه وصوره من عصر لآخر، وذلك راجع لاختلاف دوافعه ولتباين أذواق الشعراء.

من حقبة لأخرى "ففي العصر الجاهلي كان هجاء الشعراء يدور في معظمه حول الانتقاص من نسب المهجو والإزراء بمكانة القبيلة وإلصاق المخازي بها، وكان الهجاء يضطلع بدور خطير في المجتمع الجاهلي حيث كان للكلمة أو للشعر مكانة لا تقل عن مكانة السيف، وجاء الإسلام فغض من الهجاء وحاربه لأنه يتعارض ومبادئه السمحة التي تنبذ التجريح والتشهير، ويروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله:"من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر".[2]

فازدهر فن الهجاء، وبرز شعراء مسلمون في هذا الميدان ،ولكنه اختلف عن الهجاء القديم، إذ لم يكن تسرعا بالشعر إلى أعراض الناس، ولا قذفا بألوان الشتائم والمساوئ وإنما كان هجاءا لمن ظل عن طريق الحق، وترك سبيل الهداية "ويظهر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينه شعراءه عن هذا النهج من الهجاء بل كان يأمرهم به ويحثهم على سلوكه بمثل قوله:"قولوا لهم مثل ما يقولون لكم" وفعلا كانت طريقة حسان وكعب هي التي تؤذي القرشيين المكيين، ولو أنهما رمياهم بالشرك وعبادة الأوثان لما نالا منهم، إذ كانت تلك عقيدتهم وكانوا يعتزون بها ومع ذلك فثمة ذرات إسلامية يمكن أن نلمسها في أشعار بعضهم، متأثرين بمنهج القرآن في هجاء الخصوم".[3]

كقول كعب بن مالك يهجو قريشا:

فَكَبَّ أبُو جَهل صَرِيعًا بوجهِهِ وعُتبَة قَد غادرنَه وَهُو عَاثِر

وشَبيه والتَيمى غادَرنَ فِي الوغَى وماَ منهم إلا بذِي العَرشِ كافِرُ

فَأَمسُوا وُقُودَ النَّارِ فِي مُستَقَرِّهَا وَكُلُّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّم صَايِرُ

[1] المرجع نفسه، ص12

[2] المرجع السابق، ص13

[3] الإسلام والشعر، د: سامي مكي العاني، عالم المعرفة، الكويت 1978، دط، ص118

وكان رسول الله قد قال:اقبلوا :فولوا وقالوا:إنما أنت ساحر.[1]

فالشاعر عاير المشركين بالشرك وعبادة الأوثان، وسوء المصير والمنقلب لصدهم عن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم:

وقول حسان بن ثابت أيضا يعير قريشا بطاعة الشيطان وبنداء الشرك وشعاره:

طَاوعُوا الشَّيطَان إذ أَخزَاهُم فَاستبَانَ الخِزيُ مِنهم والفَشَلُ

حِينَ صَاحُوا صَيحة وَاحدةً مَعَ أَبِي سُفيَان قَالُوا: اعلُ هُبَلُ.[2]

وقد نهى الإسلام عن الهجاء المقذع الذي يعتمد الفحش والقذف والسب الذي يقبح نشره. ولعمر بن الخطاب موقف معروف من الهجاء المقذع ، "فهو ينهي عن التفضيل والمقارنة إذ يدخل الشاعر بين الرجلين المتنافسين ليمدح واحدا، ويهجو الآخر،فيزهو الأول ويغلي الثاني حقدا، فيشتبك الرجلان ثم يقع بين حيهما ما لا تحمد عقباه من الشرور والفتن".[3]

ونجد أن غرض الهجاء قد عرف بكثرة في العصر الأموي، وتواجهنا الكثير من أشعار الهجاء المتأثرة إلى حد بعيد بمثالية الإسلام، إذا كان الشعراء يهجون خصومهم بالبعد عن الدين وبالانحراف عن مبادئه القويمة كالذي نراه في هجاء جرير ل آل المهلب، حيث رماهم بالتفريط في دينهم وبطغيانهم طغيان ثمود ،فأهلكوا بالطاغية:

آل المهلب فرطوا في دينهم وطغوا كما فعلت ثمود فباروا.[4]

وكذلك عندما عير جرير الفرزدق، هجاه بالبعد عن مواطن العبادة، وبضعف الدين ورقته:

ألا قبح الفرزدق كلما أهل مصل الصلاة وكبرا

فلا يقربن المروتين ولا الصفا ولا مسجد الله الحرام المطهرا

فأنك لو تعطي الفرزدق درهما على دين نصرانية لتنصرا[5]

---

[1] ديوان كعب بن مالك.

[2] ديوان حسان بن ثابت

[3] الإسلام والشعر، د:سامي مكي العاني، ص122

[4] ديوان جرير

[5] المصدر نفسه، ص

فغرض الهجاء تأثر كثيرا بالأفكار الإسلامية، ويمكن أن نرى ذلك في كثير من النماذج الهجائية التي كانت بعد مجيء الإسلام، هذا التأثير قد مس الألفاظ والمفاهيم والمعاني

وتتباين لغة الشعر من موضوع إلى آخر، فلغة الغزل بما فيها من رقة وعذوبة وسلاسة تختلف عن لغة المدح بما فيها من قوة وخبرات وفخامة، وقس على ذلك موضوعات الشعر الأخرى، فلكل موضع لغة تناسبه وتوائمه "ولما كان فن الهجاء يستمد خصائصه ووجوده من عاطفة الغضب فمن الطبيعي أن تنعكس هذه الخاصية على لغته فتأتي مشحونة بالحدة والتوتر والانفعال، وتلك صفة عامة تتميز بها لغة الهجاء في كل عصر، غير أن هناك سمات فارقة تختلف باختلاف البيئات والعصور فإذا كانت لغة الهجاء الجاهلي تتصف بالعنف والقوة، وتستمد مفرداتها وألفاظها وتراكيبها من طبيعة البيئة الجاهلية بما فيها من صراع ومعارك، فإن لغة الهجاء الأندلسي قد اتخذت وجهة أخرى تبعا للتطور الحضاري والزمني".[1]

فقد اختلفت لغة شعر الهجاء على مر العصور الأدبية ،فقد تأثر فن الهجاء بالعوامل المحيطة حوله سواء من الناحية البيئية أو الأحداث السياسية أو غيرها لكنه بقي حافظا على صورته الإسلامية برغم من بعض الانحرافات التي شهدها الشعراء في أشعارهم.

2/أ–الغزل:

[1] الهجاء في الأدب الأندلسي، دكتور فوزي عيسى، ص195

والغزل هو إظهار الشوق، والشكوى من الفراق وقد وضح معناه الفيروز أبادي في معجمه بعدة صور:

"فمغازلة النساء هي محادثتهن، والتغزل: التكلف له، ونسوة غزل: ركع وغوازل، والمغزل: ما يغزل به".[1]

وانطلاقا من هذا المصطلح اللغوي، فالغزل من الناحية الأدبية، هو فن من فنون القصيدة الغنائية للتعبير عن الحب، وأحاسيس المحبين وانفعالاتهم.

وقد عرف هذا الغرض الشعري منذ الجاهلية، وتكاد لا تخلو قصيدة من الغزل حتى وإن لم يكن هو الغرض الأساس فيها، فكان لابد للشاعر أن يذكر الغزل في قصيدته واقتصرت أغلب القصائد الغزلية على وصف الجمال الخارجي للمرأة كجمال الوجه والجسم وكان الشعراء يتفننون بوصف هذا الجمال لكنهم قلما تطرقوا إلى وصف ما ترك هذا الجمال من أثر في عواطفهم ونفوسهم ويمكن تصنيف الغزل إلى نوعين:

1-الغزل العذري:

قد أطلق هذا الاسم على هذا النوع من الغزل نسبة إلى قبيلة بنو عذرة ،"التي ظهر في أرجاء تلك البادية العربية عشاق، عدوا النماذج الصحيحة لهذا الحب، والمثل العليا له بكل سماته المميزة، وطوابعه الخاصة، فأطلق عليهم اسم العذريين نسبة إلى هذا اللون من ألوان الحب".[2]

هذا الغرض الذي بانت معالمه واضحة في قصائد الجاهلين، وقد عرفت مجموعة من الشعراء المتيمين، الذين كشفوا من خلال تجاربهم عن القيم الروحية في الحب "فكان أن اقترنت هذه التجارب بأسماء حبيبات معينات مثل المرقش الأكبر وأسماء والمرقش الأصغر وفاطمة، ومالك بن الصمصامة وجنوب، وعمر بن كعب وعقيلة، وعنترة وعبلة، وكان لأولئك العشاق قصص لا تختلف في كثير من

[1] قاموس المحيط، تأليف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتبة تحقيق التراث ومؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة 8، 1426هـ/ 2005م، ص1038

[2] الحب المثالي عند العرب، خليف يوسف، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،مر، دط، د ت، ص12

تفاصيلها عن قصص العشاق في صدر الإسلام والعصر الأموي، وليس بغريبة أن يقع الدارس على تشابه كبير في بعضها".[1]

وأصحاب هذا النوع من الحب يتغزلون بمحبوبة واحدة، بحيث يرون فيها المثل الأعلى الذي يحقق للشاعر متعة الروح ،ورضا النفس، واستقرار العاطفة

"ولعل أقدم هؤلاء الشعراء "عبد الله بن العجلان" فقد عاش مكابد المحبة وغصة العشق ثلاثين سنة وهو جاهلي ضرب به المثل، كما ضرب بعروة فيما قيل فيه قول قيس:

فما وجدت وجدي بها أم واجد ولا وجد النهدي وجدي على هند

ولا وجد العذري عروة في الهوى كوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي.[2]

وقال البحتري:

هؤلاء جميل في بثينة ناله بمثلي ولا عمرو بن عجلان في هند[3]

ففي غزل هؤلاء الشعراء تظهر الشحنة العاطفية القوية، والتعبير عن معاني الحرمان العاطفي والآلام والشكوى، فقد صور الشعراء استحواذ الحب العفيف على قلوبهم ومشاعرهم، بل وقد وصلت بهم هذه المشاعر حد الموت فمات بعضهم عشقا.

هذا ما يدل على أن الجذور الأولى للغزل العذري ظهرت في عصر ما قبل الإسلام، والتي امتازت نصوصهم الشعرية في الغزل العذري بصدق المشاعر والعواطف ،وما أصدق مشاعر الشنفرى في قصيدته التائية حين يصف حياء المرأة وطهرها في قوله:

لقد أعجبتني لا سقوطا قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفت

تحل بمنجاة من اللوم بيتها إذا ما بيوت بالذمة حلت

كأن لها في الأرض نسيا تقصه على أمها وإن تكلمك تبلت

أميمة لا يخزى ثناها حليلها إذا ذكر النسوان عفت وجلت

---

[1] الغزل في عصر صدر الإسلام، الدكتور: حسن جبار الشمسي، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، دط، 2002، ص41

[2] ديوان عبد الله بن العجلان النهدي، جمعه وحققه إبراهيم صالح، دار الكتب الوطنية ،ط1، 2009، ص36

[3] ديوان البحتري، المحقق :حسن كامل الصيرفي، دار المعارف ،مصر ،الطبعة 3، ص223

إذا هو أمسى آب قرة عينه مآب السعيد لم يسل أين ظلت

فدقت ،وجلت، وأسبكرت، وأكملت فلو جن إنسان من الحسن جنت

فبتنا كأن البيت حجر فوقنا بريحانة ريحت عشاء وطلت[1]

وما هو معلوم أن الشنفرى كان صعلوكا من صعاليك العرب، لكنه جاء بهذا النص معتبرا فيه عن العفة والحياء، وكانت صورة المرأة التي ترك لنا تفاصيلها في هذا النص هي صورة مثالية، ما يثبت أن الجاهليين لم يكونوا طلاب متعة وأصحاب لهو فقط.

"وفي عصر صدر الإسلام كما في العصر الجاهلي، وجدت قصائد خاصة بالغزل العذري ،بل لعل ديوان عروة بن حزام وهو صاحب أنضج تجربة حب عذرية في هذا العصر كله غزل، وكذلك شعر عبد الله بن علقمة".[2]

وذلك راجع إلى عفة هذا النوع من الغزل التي تتماشى وتعاليم الدين الإسلامي.

خصائص الغزل العذري:

***قدوة التعبير عن الحب وتأثيره في النفس:** وذلك أنه" يعبر عن الوجدان الصادق والرؤية الطاهرة في الحب الذي نقل فيه المتعة الحسية وتطغى عليه المشاعر الروحية التي تميزه عن الغزل الحسي وهو ينشد التعبير عن وصف جسد المرأة ،ولهذا جاء أكثر الغزل العذري تعبيرا عن الوجدان الصادق المخلص والمشاعر الملتهبة"[3].

ويقول عروة بن حزام في ذلك:

وإني لتعروني لذكراك رعدة لها بين جلدي والعظام دبيب

وما هو إلا أن يراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب

وأصرف عن رأيي الذي كنت أرتئي وأنسى الذي حدثت ثم تغيب

---

[1] ديوان الشنفرى عمرو بن مالك 70 ق هـ، جمعه وحققه وشرحه د: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروتن ط2، 1417هـ/1996م، ص32، 33 ،

اسبكرت: اعتدلت، دقت: صغرت، حلت: سمنت وعظمت

[2] الغزل في عصر صدر الإسلام، د:حسن جبار الشمسين ص47

[3] المرجع نفسه، ص48

ويظهر قلبي عذرها ويعينها علي فمالي في الفؤاد نصيب

وقد علمت نفسي مكان شفائها قريبا وهل مالا ينال قريب[1]

فالشاعر شبه ارتباكه عند رؤيته لمحبوبته كالذي يرتاع عندما يرى من يعظمه فجأة، فإن القلب معظم لمحبوبه خاضع له وإذا رآه فجأة راعه ذلك وارتبك

***المعاني الحضرية:** وإن كان عصر ما قبل الإسلام يعد الأصل الأول لنشأة الغزل العذري فإن عصر صدر الإسلام قد أحاط بهذا الغزل بالقبول ، "وظهرت معاني جديدة استلهمت روح العصر وعانيه الجديدة والمسحة الحضرية التي طغت على الواقع العربي، وإن كان النظام القبلي لا يزال قائما، إلا أن انتشار الإسلام واطلاع الشعراء على مدن وبلدان جديدة جعلهم يتطلعون في شعرهم إلى هذه القيم الحضارية".[2]

فجاءت قصائدهم الغزلية تعبر عن أفكارهم بلغة الحياة اليومية في سهولتها وابتعدوا عن قيم البداوة في ذلك.

فيقول سحيم عبد بني الحسحاس:

ماذا يريد الشقام من عمر كل جمال لوجهه تبع

ما تبعني جار في محاسنها آماله في القباح متسع

غير من لونها وصغرها فزيد فيه الجمال والبدع

لو كان يبغي الفداء قلت له ها أنا دون الحبيب يا وجع.[3]

***القوة العاطفية:** وهذا ما نجده حقا في غزل فترة صدر الإسلام ،حيث التعبير عن قوة الوجدان وانفعالات النفس، فظهرت معاني التعبير عن جوهر الإنسان واختفت المعاني السطحية ومظاهر العواطف الخارجية، وإذا كان جوهر الإبداع هو الانفعال، وما دام الانفعال هزة عاطفية في النفس،

[1] ديوان عروة بن حزام، تحقيق أحمد عكيدي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2014، ص80

[2] لغزل في صدر الإسلام ،د: حسن جبار الشمسي، ص50

[3] ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، المحقق:عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950، ص53

"فإن الغزل العذري هو من نمط الشعر الزاخر بضروب الانفعال الإنساني وهو وسيلة يستطيع الشعر من خلالها التغلب على العذاب والضعف".[1]

فهذا "النمر بن تولب" يهيم بدعد وشغله أمرها بعد موته وقد تغزل بها وهو شيخ كبير فلم يمنعه كبر سنه من الإعراب عن رغبته العاطفية ،يقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

على أنها قالت عشية زرتها هبلت ألم ينبت لذا حلمه بعدي

ألست بشيخ قد حطمت بلحية فيقصر عن جهل الغرانقة المرد.[2]

فالشاعر من قوة انفعاله بمحبوبته ،أنكر نفسه واهتم بأمرها ،ورغم كبر سنه بقي وفيا لمشاعره نحوها.

2-الغزل الحسي:

فهذا النوع من الغزل فهو الغزل المادي الذي أساسه حب تمتزج به ميول شهوانية أو عواطف خالية من التحرج، وأوصاف ربما لا يرضى عنها إلا أنصار المكشوف،،"وهو من يخرج عن قيم ومثل العرب الأخلاقية".[3]

والغزل الحسي نشأ بوصفه غرضا شعريا له خصائصه المتميزة في عصر ما قبل الإسلام، وفي هذا الغزل تبدو الخاصية الحسية الشهوانية واضحة إلى أقصى الحدود، لأنه قائم على الرغبة الجنسية، فلم يرتفع الغزل الحسي في معانيه وأغراضه إلى مملكة الروح بل انحدر إلى مملكة الجسد، ومن هنا يكون الطموح النفسي الأقصى عند الشاعر الحسي هو السعي وراء اللذة الجسدية.

فالجاهلي كان إذا أراد وصف امرأة وصف وجهان وخدها،ولسانها وشعرها وثغرها....وغيرها من الأوصاف الحسية ،"وقد أسس كثير من الدارسين آراءهم على أن الغزل الجاهلي لم يكن غير اكتفاء بوصف أعضاءها الجسدية وصفا حسيا، واعتبروا بأن الجاهليين لم يكونوا يعرفون الثنائية في

[1] الغزل في صدر الإسلام، د:حسن جبار الشمسي، ص52

[2] ديوان النمر بن تولب،

[3] المرجع السابق، ص81

جمال الخلقة وجمال الخلق لأن الجمال عندهم كان جوهرا واحدا لا فرق فيه بين جمال الجسد وجمال الروح".[1]

وفي الحقيقة أن الجاهليين كانوا مدركين للقيم الإنسانية الروحية والدليل في ذلك ما وجدناه مجسدا في قصائدهم العذرية ،العفيفة، التي تهتم بالجانب الروحي أكثر من ،والغزل الحسي في عصر صدر الإسلام هو امتدادا لشكل الغزل في عصر ما قبل الإسلام في ألفاظه وتراكيبه، وحتى الجانب الفاحش فيه لم يختف بل ظل دائم الحضور حتى في هذا العصر.

والإسلام أضاف إلى الأدب رؤية جديدة، على ما كان عليه في الجاهلية ، فلو تناولنا قصيدة لكعب بن زهير في جاهليته والتي يقول فيها:

أرى أم شداد بها شبه ظبية تطيف بمكحول المدافع خاذل

أغن غضيض الطرف رخص ظلوفه يرود بمعتم من الرمل هائل

وترنو بعيني جؤذر أم فرقد تظل بوادي روضة وخمائل

وتفرعن غرا لثنايا كأنها أقاح تروى من عروق غلاغل.[2]

فالشاعر شبه صاحبه بالظبية،رقيقة الصوت، فاترة الطرف، تضحك عن أسنان بيضاء، وهذه كلها أوصاف مادية حسية للعينين والصوت والثنايا والرائحة، وكذلك نجدها تختلف عن أوصافه في مقطع قصيدة "البردة" التي تقدم بها معتذرا للرسول صلى الله عليه وسلم ،بعد إسلامه والتي يقول في مطلعها الغزلي:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يجز مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ألا أغن غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول[3]

[1] المرجع نفسه، ص82

[2] ديوان كعب بن زهير ،صنعه الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري، قدمه الدكتور حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة 1، 1414هـ، 1994، ص84

[3] المصدر نفسه، ص26

فالصورة التقليدية تكررت ،وسعاد شبيهة بأم شداد في صوتها وطرفها وأسنانها، ولكن الدافع من وراء هذا المطلع الغزلي هي دوافع نفسية ،خاصة وأنه أنشده في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ،فالشاعر هنا في صراع نفسي بين حالة الموت المرتقبة وحالة الاطمئنان والأمن حول مصيره المحتوم الذي أوعده به الرسول صلى الله عليه وسلم ،وكذلك هو الحال عند حسان بن ثابت، نهج نهجا جاهليا في وصف مفاتن المرأة ،فيقول حسان في بدر يصف ريق صاحبته وفمها:

تبلت فؤادك في المنام فريدة تسقي الضجيج ببارد بسام

كالمسك تخلطه بماء سحابة أو عاتق كدم الذبيح مدام.[1]

يشبه قوله الجاهلي:

كأن فاها ثغب بارد في رصف تحت ظلام غمام

شجبت بصهباء لها سورة من بيت راسي عتقت في الخيام.[2]

فالشاعر لم يستطع أن يلغي مورثه الشعري السابق، ولهذا جاءت بعض أشعاره الإسلامية مستمدة من واقع الجاهلية ومؤثراتها

من خصائص الغزل الحسي:

***تعيين مواطن جمال المرأة:** فمواطن جمال المرأة التي أثارت الشاعر في عصر الإسلام هي نفسها التي أثارت الشاعر الجاهلي أيضا، لأن البيئة التي يستلهم منها شعراء الإسلام كانت ما تزال هي البيئة التي كانت في الجاهلية ،والقيم المتوارثة التي ورثها المسلمون عن الجاهليين كانت ما تزال قائمة، ومواطن الإثارة في جسد المرأة هي نفسها في الجاهلية والإسلام، فكل هاذ كان نتيجته أن الشعر الجاهلي والإسلامي حمل نفس المعاني والصور التي كانت في كلا العصرين.

***طريقة اللقاء بها:** فالشعراء الجاهليون كانوا يفخرون بأنهم تجاوزا إلى المرأة حراسها فهم بهذا الافتخار يقصدون أمرين: "أولا افتخارهم بمغامراتهم وشجاعتهم، لأنهم تجاوزا قوم الحبيبة وأهلها وزوجها فنالوا

[1] ديوان حسان بن ثبات

[2] المصدر نفسه، ص437

ما أرادوا ،وهم بذلك يصفون المرأة العربية محمية من قبل قومها محروسة الشرف ،ولكنهم يحاولون فرقه وهذا يتعلق بالأمر الثاني."[1]

يقول امرئ القيس:

سموت إليها بعدما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

فقالت:سباك الله إنك فاضحي ألست ترى السمار والناس أحوالي

فقلت: يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها عليه القتام سيئ الظن والبال.[2]

الموقف الأخلاقي للإسلام من شعر الغزل:

عند مجيء الإسلام، غيرت العديد من المفاهيم الاجتماعية الجاهلية في مختلف جوانبها، وأنشأت في مجال النفس الإنسانية تشكلا جديدا، فقد أنكر الإسلام الرهبانية والإباحية على السواء، وأعطى الحياة الإنسانية حتى الزينة والمتعة في حدود ضوابط جديدة قوامها الحلال والأخلاق.

"كما أقر الإسلام حق النفس الإنسانية في المجال الحسي وفق نظام كريم رفيع، ولم يرفض الإسلام الغرائز والميول الإنسانية، ولكن اعترف بها وأقرها وفتح لها أسلوبا من التنفيس والتحقيق دون أن يخرجها عن قيمها الأخلاقية وعن العفاف والشرف".[3]

وهذا التغيير الذي طرأ على جميع المجالات، وقد مس حتى المجال الأدبي، فلم يكن ليغير في الشعر تغييرا جوهريا ،خاصة أن معظم شعراء هذا العصر عاشوا مرحلة الانتقال من عصر ما قبل الإسلام إلى عصر صدر الإسلام ،ولم يكن بمقدورهم أن يتجاوزوا كل المؤثرات الاجتماعية والنفسية التي كانوا يعيشون فيها.

وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن الغزل قد ضمر في عصر صدر الإسلام ،"وذلك لأن أصحاب هذه الدراسات كانوا واهمين في تصورهم أن الإسلام وقف ضد هذا النمط من التعبير

[1] الغزل في عصر صدر الإسلام، د:حسن جبار الشمسي، ص104

[2] ديوان امرئ القيس، شرحه عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة ،بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1425هـ/2004م، ص137

[3] خصائص الأدب العربي، 163

الشعري، لأنه يمثل خروجا على نظام الدين الأخلاقي،ذاهبين مع من ذهب بأن من أوقع الأمور في الدين وأنهكها للجسد وألفها للمال وأضرها بالعقل، وأزراها للمروءة ،وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار، الغرام بالنساء."[1]

وقد يقصد من هذا الطرح،هو الغرام الذي يتنافي ورؤية الإسلامية الأخلاقية، فالتشريع الإسلامي جاء لترسيخ المبادئ الأخلاقية والقيم الدينية، وقد حاول الإسلام أن يحول أنظار الناس عن الفاحشة والسلوكات المشينة.

ومنا هنا كانت المجاهرة بالحب الجسدي والإعراب عن الروافع الجنسية والشهوانية تتنافى مع القيم الأخلاقية التي رسم خطوطها الدين الإسلامي.

"فالإسلام في ذلك كله أهدر من الحب جانبه الوحشي ليقوى منه الجانب الإنسي، وأعطى هذه العاطفة من الحياة قدر ما تستحق في حياة متوازنة ومجتمع سليم، لم يغال بها ولم يترك لها سبيل النمو المتضخم الشاذ".[2]

بل بالعكس فإن الحياة الإسلامية كانت سببا في أن يصبح الغزل العفيف اللون الأول في اللوحة البدوية الإسلامية، وكان للدين تأثير كبير عليه، لما فيه من براءة وطهر وصفاء ونقاء ،فكأنما أضفى الإسلام على المرأة وعلاقتها بالرجل عند هؤلاء الشعراء ضربا من القدسية، أحاطها بهالة من الجلال والوقار ،فإذا الشاعر لا يدنو منها إلا في احتياط،بل إذا هو يرى دونها صعابا أي صعاب ،فيتحول إلى نفسه يشكو ما أصابه من تباريح الحب، وشكوى تشف عن ألمه وعذابه في حبه، وهي شكوى يضرع فيها أحيانا إلى ربه".[3]

على شاكلة قول جميل:

إلى الله أشكو لا إلى الناس حبها ولابد من شكوى حبيب يروع

ألا تتقين الله فيمن قتلته فأمسى إليكم خاشعا يتضرع

[1] الغزل في عصر صدر الإسلام، د:حسن جبار الشمسي، ص28

[2] المرجع نفسه، ص31

[3] العصر الإسلامي ،شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة 20، د ت ، ص178

فيا رب حببني إليها وأعطني ال مودة منها أنت تعطي وتمنع.[1]

فالشاعر يشكو حبه لها إلى الله سبحانه وتعالى، لأنه يعلم بأن الله هو الوحيد القادر على سماع مناجاته وهمومه، وهو الذي إن شاء أعطاه وإن شاء منعه

وما وجدناه في النصوص الشعرية في عصر صدر الإسلام ،يلغي الاعتقاد السائد أن الإسلام منع الغزل ،وأن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كانوا يقفون موقفا مضادا ن شعر الغزل بل بالعكس فقد وجدنا أن الشعر وشعر الغزل بخاصة لم يتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه النبيلة،و كان الموقف الأخلاقي الذي ثبته الإسلام من موضوع الغزل لا يختلف في شيء عن موقف الإسلام من الشعر بعامة، وكذلك من موضع الحب، لأن الإسلام، أحاط هذا الموضوع بالعناية الخاصة وأطره بمنظوره الإنساني والأخلاقي.

وفي الأخير يمكننا القول بأن غرض الغزل، قد حضي باهتمام كبير من طرف الشعراء المسلمين،ذلك لأنه غرض حساس، حاولوا فيه التغني بالجمال ظاهره وباطنه، في صورة إسلامية أخلاقية ملتزمة.

1. الرثاء:

جاء في التعريف الاصطلاحي لكلمة رثاء ، في لسان العرب كالآتي :

"رَثَى فلاَن فلاَنًا ، يَرثِيه رَثيًا ، و مَرثِيةً ، إذا بكاه بعد موته قال :فإذ امدحه بعد موته قيل رَثَاهُ يَرثِيه تَرثِيَةً .

ورَثَيتُ المَيِّتَ رَثياً، و رثاءاً، و مرثاةً،ومرثيةٌ،و رَثَّيتُهُ:مدحته بعد الموت وبكيته، وورثت الميت أيضا ، إذا بكيته و عدّدت محاسنه ، و كذلك إذا نظمت فيه شعراً...، وامرأة رثاءه ، ورثاية :كثيرة الرثاء لبعلها أو لغيره ممن يكرم عندها ، تنوح ناحية ، ورثيتُ له ،رحمته ،و رثى له أي رقَّ له"[2]

[1] ديوان جميل بن معمر، تحقيق حسين نصار، دار صادر للطباعة والنشر، 1402هـ، 1982، ص117

[2] : لسان العرب ،أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، مجلد 3 ،دار صادر ،بيروت، لبنان،ط1،1997،ص35

و الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين لم يذهب بعيدا في مفهومه للرثاء عن مفهوم ابن منظور فتكلم عن المرثي ، كونه محور الرثاء فهو الذي يتوجع و يفجع فقال :"ولا يرثي فلان لفلان ،أي لا يتوجع إذا وقع في مكروه ...، و المرثي المتوجع المفجوع "[1]

وقد تعدّدت المفاهيم في المعاجم العربية لكلمة رثاء ،لكن على الأغلب فهي تعني البكاء على الميت من بعد موته ،فغن ثمّ مدحه قيل : رثاه ،و المرثية : هي ما يرثى به الميت من شعر في القصيدة أو كلمة ، و إن وصل الرثاء إلى حد الندب على الميت

أما في التعريف الاصطلاحي للكلمة ، فالرثاء من الفنون الشعرية التي لها وزن و قيمة في الشعر العربي ، وهذا بما يحمل من صدق و عاطفة ، و عمق الإحساس بالآخر، الذي رحل عن الدنيا و ابتعد ، فالرثاء هو تصور حقيقي يربط بين ثنائية الموت و الحياة ، و الانتقال من عمق الفاجعة و الأسى إلى الصبر و مواصلة الحياة و لقد ارتبط الرثاء-كما جاء في التعريف اللغوي- بالبكاء و الندب ،وصفات عدّة كما نلمس في صاحبه رقة عاطفة و رهف إحساس ،وهذه الملامح نجدها بكثرة عند المرأة أكثر من الرجل ، لأنّه يمتاز بالصبر و الجلد.

ويقول عيسى إبراهيم السعدي:"العديد من الشعراء كبيرهم وصغيرهم طرق هذا الباب ، هذا اللون الحزين من شعر المواساة و الكآبة ،ولم يقتصر هذا الغرض على الرجال فقط، بل تعدّاهم إلى النساء أيضا ،و ربّما كانت النساء أحقّ به ، لمّا فُطرن عليه من رفق ولين وعاطفة الحزن و البكاء و التأثر وإن امتاز الرجال بالجلد و الصبر، و تحمل الشدائد ،و الصبر على فقد البعض من أهلهمو ذويهم و أحبابهم "[2]

والرثاء على الأغلب يكون ممزوجا بالمدح،وخير مثال شعر الخنساء في رثاء أخيها صخر .

[1] :معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج2، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ،بيروت،ابنان، ط1،2003،ص97

[2] : جماليات الشعر العربي على مر العصور، عيسى إبراهيم السعدي، دار المعتز،عمان،أردن ،ط1،2006،ص230,

أنواع الرثاء:هناك ثلاثة أنواع هي :

أ الندب: وهو أقوى أنواع الرثاء عاطفة ،لأنّ الشاعر يبكي في نفسه أو جزءاًمن كيانه ، "و الندب هو النواح و البكاء على الميت بالعبارات المشجية ، والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية ، وتذيب العيون الجامدة ، إذ يوَلول النّائحون و الباكون يصيحون،ويعولون مسرفين في النّحيب و النشيج وسكب الدموع".[1]

وهذا النوع من الرثاء نجده في بكاء الأبناء و الأقارب المقربين.
ب-التأبين : هو شعر الموافق الرسمية وفيه تتراوح العاطفة بين الفتور و المجاملة التي يعوزها الصدق ،"ويرثي الشاعر فيه ذوي الجاه و السلطة ، كالخلفاء و الأمراء و الوزراء ، و العلماء ،و يجتهد في تعديد مناقب الميت و صفاته"[2]
كما يتخذ هذا النوع من الرثاء شكل الثناء على الميت ، و ذكر مزاياه و مكانته الاجتماعية و تعداد محامده ، فهو أشبه بالمدح.
ج-العزاء :وفي هذا النوع تخفّ شدّة الصدمة ، "ويعوذ الشاعر إلى نفسه و يفكر في الكون و خالقه، و الوجود و العدم ، ويحلل من خلالها حقيقة الموت حسب فلسفته الخاصّة لذا غالبا ما تكون معاني هذا النوع من الرثاء حكيمة، كما تتّسم بالعمق و الغرض في دخيلة النفس ، أو الكون كما تتّسم عاطفته بالهدوء ".[3]
وشعرا لرثاء يمتاز بصدق العاطفة ، و رقّة الإحساس و البعد عن التهويل الكاذب ، كما يتجلى فيه التحلي بروح الصبر ، و الجلد.
و الرثاء عُرف منذ العصر الجاهلي ، و كان يتميّز بما تميزت به سائر الأغراض من حيث الصدق و عفوية الأداء . وقد رثى الشعراء الجاهليون قتلاهم في الحروب ، كما رثوا موتاهم في الحروب ، كما رثوا موتاهم في غير الحروب ، وكانوا يرثون قتلاهم بذكر مناقبهم بالبكاء الحار عليهم حثّاً للقبيلة على الثّأر.
كما أنّ المرأة أدّت دوراً كبيراً في رثاء قتلى الحروب، كما هو الحال بالنسبة للخنساء في الجاهلية ، حين كانت تندب أخويها صخرا و معاوية ، فتقول في أخيها صخرا:

قذًى بعَينِكَ أم بالعَينِ عُوارُ* أم ذَرَفتُ* إذاَ خَلَت من أهلهَا الدَّارُ

[1] : الرثاء،شوقي ضيف ، دار المعارف،مصر،دط،1979،ص12,.
[2] : الرثاء ضوقي ضيف، ص13
[3] : المرجع نفسه،ص13.

كَأنَّ عَينِي لِذِكراهُ إذَا خَطرَت فيضٌ يَسِيلُ على الخَدّينِ مِدرارُ[1]

ومثلما رسم الشاعر الجاهلي صورة للمثل و الفضائل في قصائد المدح، فكذلك كانوا في مراثيهم يعدّدون فضائل الميت ، حتى عرّف النقّاد القدماء الرثاء بأنّه ذكر لفضائل الميت وفي صدر الإسلام ،ظلّ الرثاء غرضا شعريا ، إلاّ أنّ العقيدة الجديدة أدخلت عليه تطويرا واضحا . فلم يعد الراثي يذكر ما خطره الإسلام من المعاني التي تتعارض مع ما أمر الله به من الصبر و الإيمان بقَاء الله تعالى . كما كانت مراثي شعراء الرسول صلى الله عليه و سلّم ، تتضمّن معاني الجهاد و الإشادة بالبطولة و الشهادة في سبيل الله.

ومن أصدق المراثي التي قيلت في صدر الإسلامي ، هي التي قيلت في رثاء الرسول صلى الله عليه وسلّم ، فهذا أبو بكر الصدّيق يرثي الرسول صلى الله عليه و سلّم ، و يقول:

فجعنا بالنبيّ و كان فينَا إمَامَ كَرَامَةَ نِعمَ الإمَامَ
وكانَ قوَامنَا و الرَّأس منّا فنَحنُ الآنَ ليسَ لنَا قوَامَ
نموجُ ونشتكي ما قد لقينَا و يَشكُو فَقدَهُ البَلَدُ الحَرَامَ
فلاَ تَبعد فكُلُّ كَريمِ قومٍ سيُدركُهُ وَلَو كَرهَ الحَمَامَ
فقَدنَا الوَحيَ إذَا وَليتَ عنّا ووَدّعنا منَ الله الكلامَ
قد أورثتنا ميراث صدق عليك به التحية و السلام[2]

وقال حسّان بن ثابث يرثي هو الآخر الرسول صلى الله عليه و سلّم :

بطيبة رسمٌ للرَّسولِ و مَعهَدُ منيرٌ وقد تعفو الرُّسُومُ وَ تَهمدُ
فَبُوركتَ يَا قبرَ الَّرسولِ وَبوركَت بلاَدٌ ثوى فِيهَا الرَّشيدُ الُسَدّدُ
وَ بَكِّي رسول الله يَا عينُ عَبرَةً ولاَ أعرفَنّكِ الدهر دمعُكِ يَجمدُ
وجودي عليه بالدموع و أغولي لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد[3]

فقد رثى الشعراء معدّدين مزايا الفقيد ، وأشاروا إلى مكانته في حياتهم و في المجتمع و كيفية موته.

[1] : ديوان الخنساء ،شرحه حمدو طمّاس ،دار المعرفة ،بيروت،لبنان، ط2، 1425ه/2004م، ص45.
عوار:وجع في العين/ ذرفت :قطرت قطرا
[2] :الرثاء في الشعر العربي، إعداد سراج الذين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت،لبنان، دط، دت، ص13.
[3] : ديوان حسان بن ثابت الأنصاري،ص60.

كذلك كان هناك فريق من الشعراء رثوا أحبابهم بحسرة ،ولكن باستسلام للقدر و برضوخ لمشيئة الله و نظام الحياة ، و كثيراً منهُم من بالغوا في الرثاء ، فلامس بعضهم حدود الكفر

"إضافة إلى ذلك ، رثوا المدن و الحضارات ، ورثوا حتى أنفسهم عندما كانوا يجدون أنَ ساعتهم دنت ، أو عندما كانوا يشعرون بأنّهم أحياء و لكن أموات وسط عالم يشعرون به بالغربة"[1]

أمّا قصائد الرّثاء ،فقد اختلطت بالفلسفة و بالحكم و التأملات و الزهد لتصبح دروسا أخلاقية تذكر الإنسان بالقدر المحتوم و تدعوه للعمل الصالح قبل أن يضمّه التراب.

[1] :الرثاء في الشعر العربي،إعداد سراج الدين محمد ،ص5.

❖ خاتمة:

وما نخلص إليه في آخر بحثنا هو ما يلي :

- أنالشعر ظهر منذ القديم ،أي حوالي مائة و خمسين إلى مئتي عام قبل مجيء الإسلام .
- حضي الشعر بمكامة مميزة عند العرب الجاهليين ،واهتموا به كثيرا كما نبغ في هذه الفترة العديد من الشعراء ، الذين مازلت أشعارهم إلى يومنا هذا تعتبر ذات قيمة أدبية ثمينة .
- عند مجيء الإسلام اهتم العرب بهذا الدين الجديد وانبهروا بفصاحة القرآن و إعجازه .
- أعطى الإسلام للشعر مكانة مهمة ،فقد حدد مفاهيمه و موضوعاته،وهذ ب من ألفاظه الجارحة و غير الأخلاقية ،ومن سلوكات الشعراء و الاغراض التي كانوا يستعملونها من أجلها أشعارهم.
- الإسلام لم يأت منافيا للشعر و الشعراء ، بل بالعكس شجع على ذلك في اطار أخلاقي و أهداف نبيلة في إصلاح الناس و المجتمع.
- نفى الإسلام أن يكون قول الرسول صلى الله عليه و سلم شعرا ،أوأن يكون شاعرا فإنما هو وحي يوحى من عند الله تعالى .
- الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمنع عن الشعراء قول الشعر ، إلا إذا كان يمس أعراض الناس ويفشي الفاحشة و العداوة بين الناس ، فقد كان يتصدى له.
- أعجز القرآن الكريم العرب و خاصة الشعراء منهم ، ببلاغته و فصاحته و جماله الفني الذي عجزوا أمامه .
- اكتسى الشعرالإسلامي حلة دينية ،أضفت على جماله جمالا.

- حافظت القصيدة العربية على شكلها القديم ، لكن في قالب فني وديني راقي يسعى من ورائه الشاعر إلى أهداف سامية عما كانت عليه في السابق .
- لم يتخل الشعر عن الأغراض الشعرية بل حافظ عليها و أعطاها حلة إسلامية جميلة.

قائمة المصادر

و

المراجع

❖القرآن الكريم

أولا: المصادر و المراجع:

1- الأدب الجاهلي ،قضاياه ، أغراضه أعلامه ، فنونه ، الدكتور:غازي طليمات،الأستاذ:عرفان الأشقر، مكتبة الإيمان، دمشق ، سوريا،الطبعة1،شعبان 1412ه/1992م.

2- الأدب الإسلامي أصوله ،و سماته ، محمد حسن بريغش ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان ، الطبعة 2 ، 1416 ه/ 1996م.

3- الإسلام و الشعر ،الدكتور: فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني، بيروت ، الطبعة1990،1م.

4- الإسلام و الشعر ، الدكتور : سامي مكي العاني ، عالم المعرفة ، الكويت ، دط، 1978م.

5- اتجاهات الشعر العربي القرن 2ه، محمد مصطفى هدارة ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، القاهرة ، دط، 1963.

6- تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي ، الدكتور: شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، الطبعة 20، دت .

7- تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، الدكتور : شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة 3 ، دت .

8- تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، سيد عبد العزيزسالم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط ، 1971م.

9- تاريخ الأدب في صدر الإسلام ، مصطفى محمد السيوفي ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة ، مصر، الطبعة 1، 2008.

10- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ،لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأبصاري القرطبي ، دار الكتب المصرية ، الطبعة 2، المجلد 13 ،1935م، 1353ه.

11- جمالية الأدب الإسلامي ، محمد إقبال عروي ، المكتبة السلفية ، الدار البيضاء، ط1، 1986.

12- جماليات الشعر العربي على مرّ العصور ، عيسى ابراهيم السعدي، دار المعتز ،عمّان ، الأردن ، الطبعة 1، 2006.

13- الحب المثالي عند العرب ، خليف يوسف ، دار قباء للطباعة و النشر ، مصر،

دط، دت.

14- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، الدكتور : عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1992م.

15- خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث ، بقلم الأستاذ: أنور الجنيدي ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة 2 ، 1985م.

16- دراسات في أدب العصر الجاهلي و صدر الإسلام ، زكرياء عبد الرحمن صيام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984م.

17- الرؤية المعاصرة في الأدب و النقد ، محمد زكي العشماوي ، دار النهضة ، بيروت ، 1983م.

18- الرثاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، بيروت،لبنان ،دط ،دت.

19- الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ، الدكتور : باديس فوغالي، جامعة عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر ، الطبعة 1، 1429ه/2008م.

20- شرح قصيدة كعب بن زهير "بانت سعاد" في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، لابن حجّة الحمري، تحقيق الدكتور : على حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، طبعة جديدة ، 1985م.

21- شعراء العرب ، العصر الجاهلي ، يوسف عطا الطريفي ، الأهلية للنشر و التوزيع ، المملكة الأردنية ، عمان ، الطبعة 2، 2008.

22- الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، الدكتور : صلاح الدين عبد التواب ، الشركة المصرية العالمية ، القاهرة ، مصر ، الطبعة1، 1995م.

23- العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، تحقيق مكتب التراث ، دار الإحياء ، بيروت ، الجزء5 ، الطبعة1 ن 1417ه/1996م.

24- الغزل في عصر صدر الإسلام ، الدكتور : حسن جبار الشمسي ، الوراق للنشر ، عمان ، 2002.

25- فقه اللغة و سر العربية ، معجم ثراثي في المعاني ، أبي منصور الثعالبي ، مكتبة لبنان ناشرون، دط، دت.

26- قاموس المحيط ، محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق مكتبة الثراث ، مؤسسة الرسالة ، تحت إشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، الطبعة 8 ، 2005م.

27- كتاب الحيوان ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصطفى البابي الحلبي للنشر ، الطبعة 2، المجلد1، 1384ه/1965م.

28- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، مجلد3 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة1، 1997م.

29- المستقصي في الأدب الإسلامي ، الدكتور : زبير درقاوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995م.

30- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، الدكتور : ناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، القاهرة، الطبعة 5 ، 1978م.

31- معجم العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، الجزء 2، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 1 ، 2003.

32- المفصل في تاريخ قبل الإسلام ، جواد علي ، بيروت ، الجزء 1، دط ، 1918م.

33- مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ، مصطفى عليان ، دار المنار ، السعودية ، جدّة ، الطبعة 1، 1985م.

34- منهج الفن الإسلامي ،محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة 6 ، 1983م.

35- نظرات معاصرة في القر آن الكريم ، الدكتور : محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت.

36- الهجاء في الأدب الأندلسي ، الدكتور : فوزي عيسى ، دار الوفاء للنشر ، الطبعة 1 ، 2007م.

ثانيا : الدواوين الشعرية :

1- ديوان عبد الله بن العجلان النهدي ، جمعه إبراهيم صالح ، دار الكتب الوطنية ، 2009.
2- ديوان امرئ القيس ، شرحه عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ،الطبعة 2 ، 1425ه/2004م.
3- ديوان عبيد بن الأبرص الأسدي ن شرحه أشرف أحمد عدرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، الطبعة 1، 1414ه/1994م.
4- ديوان البحثري ، تحقيق،حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة 3 ، دت .
5- ديوان جميل بن معمر ، تحقيق حسن نصار ، دار صادر للطباعة و النشر ، 1402ه / 1982م.
6- ديوان حاتم الطّائي ، شرحه أحمد رشاد ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العالمية ،لبنان ، الطبعة 3، 1423ه / 2002م.
7- ديوان حسّان بن ثابت ، تحقيق الدكتور: سيّد حنفي حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، 1973م .
8- ديوان الخنساء ، شرحه حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 2 ،1425ه م 2004م.
9- ديوان ابن الرّومي ، شرحه الأستاذ: أحمد حسن سبح ، الجزء 2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 3، 1423ه / 2002م.

10- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق : عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1950م.
11- ديوان الشنفرى عمرو بن مالك 70ق.ه ،تحقيق الدكتور : اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة 2، 1417ه/ 1996م.
12- ديوان طرفة بن العبد ، شرحه : الأعليم الشّمتري ، تحقيق : درّية الخطيب ، لطفي الصقّال ، المؤسسة العربية ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت .
13- ديوان عروة بن حزام ، تحقيق أحمد عكيدي ، منشورات الهيئة العامّة السورية للكتاب ، دمشق ، دط ، 2014م.
14- ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق ، الدكتور: اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة 1 ، 1411ه/ 1991م.
15- ديوان كعب بن زهير ، صنعه الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري ،قدّمه : الكتور : حنّا نصر الحتّي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة 1 ، 1994م.
16- ديوان كعب بن مالك الانصاري ، تحقيق سامي مكّي العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد ، الطبعة 1، 1966/ 1386ه.
17- ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، بيروت ، دط ، دت .
18- ديوان النمر بن تولب العكلي ، تحقيق الدكتور : محمد نبيل طريفي ، دار صادر بيروت ، الطبعة 1 ، 2000م.

ثالثا : المجّلات و الدوريات :

1- مجلة الأدب الإسلامي ، العدد 21، 1429ه / بقلم : الأستاذ محمد بن سعد بن حسين .
2- مجلة الآداب و اللّغات ، الأثر ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، العدد 6 ، ماي 2007م.
3- مجلّة الأدب الإسلامي ، العدد 22، 1420ه ، بقلم الأستاذ : حمداوي جميل .
4- مجلة القسم العربي بجامعة بنجاب ، العدد19 ،بقلم الأستاذة : شهناز ظهير "موقف الإسلام من الشعر " ، 2012 م.

5- مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها ، العدد 5 ، سنة 2011م ، " التراث الديني في شعر سميح القاسم " ، بقلم الأستاذ: محمد خلقاني اصفهاني .
6- مجلّة القسم العربي بجامعة بنجاب ، لاهور ، باكستان ، العدد19 ، 2012 ، بقلم الأستاذ : خير الدين خوجة ،" فضل القرآن الكريم و أثره في حفظ اللغة العربية و إثرائها.
7- مجلّة الأدب الإسلامي ، السنة 2 ، العدد5 ، رجب 1415ه ، مقالة " فن إسلامي للحياة " ، بقلم الأستاذ محمد سداد عقّاد .

رابعاً : الرسائل الجامعية :

1- مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري المعاصر ، البناء الفنّي في الشعر الجزائري المعاصر ، مرحلة التحولات (1988- 2000م)، إعداد الطالب : كمال فنّيش ، جامعة منتوري للآداب و اللّغات ، قسنطينة ، 2009.

الفهرس

مقدمة.....أ

مدخل : مكانة الشعر قبل ظهور الإسلام 4

الفصل الأول :مكانة الشعر في الإسلام 18

أ/ أثر القرآن في الشعر 19

1-تعريف الإسلام..... 20

2-أثر الإسلام في حياة العرب ..... .23

3-بلاغة القرآن و أثره على الأدب 32

4-رؤية القرآن للشعر ..... .36

ب/ أثر السنّة في الشعر..... 42

1- تعريف الحديث النبوي ..... .42

2- تأثر الأدب بالقرآن و الأحاديث النبوية.....43

3- الشعر في ميزان السنّة 49

4-الشعر بين الجاهلية م الإسلام (موازنة).....50

الفصل الثاني: أبعاد الشعر الإسلامي ..... .74

أ/ البعد الفنّي.....75

1- الأثر الطبيعي 75

2- الأثر القرآني 76

3- الإنفتاح .....79.

4-التفاؤل 79

- ملامح جماليات القصيدة الإسلامية 80

ب/ البعد الفكري.....83

1- العوامل المؤثرة في الشعر الإسلامي 83

- العامل الديني 83

-العامل النفسي.....84

-العامل الإجتماعي 85

-العامل الأدبي 86

2- صفات الشعر الإسلامي .....88.

-الإلتزام..... 88

الفصل الثالث: أغراض الشعر الإسلامي 92

1/ أ- المدح 93

ب-الهجاء..... 95

2/ أ- الغزل 99

ب- الرثاء 109

خاتمة.....115

قائمة المصادر المراجع 118

الفهرس 126

❖ **ملخص:**

يعتبر الدين الإسلامي ، دين الدنيا و الآخرة ، فهو يشجع الأدب و الآداب و يسمو بها إلى الأفاق الواسعة التي تشمل المادة و الروح معا ، فلا يمكن أن يكون دين فيه كل هذه الصفات الجميلة ، ويسعى إلى نبذ الشعر الذي يعد نتاج للأحاسيس الصادقة في قالب لغوي جميل .

فلو وضعنا الشعر في ميزان الدين الإسلامي ، فلا نراه إلا أنه زاده قيمة و تشريفا .

❖ **الكلمات المفتاحية :**

الشعر الإسلامي ، جمالية الشعر ، البلاغة القرآنية ،الإلتزام.

❖ **Resumé** :

La religion musulmane concedére , favorise la littérateure et l éléve aux larges perspectives qui incluent l art etl ame ensenble ,il ne peut pas etre une réligion dans la quelles toutes ces belles qualités , il cheche barenoncer de poéme ce qui est un produit de sentiiments dans un beau modèle de langue .

Si nous mettons le poémes dans la balance de la réligion islamique ,il a ajouté a la valeur et a lhonneur .

❖ **Mots-clé** :

Poéme islamique ,Esthétique de poéme ,Rhétorique coranique , Engagement

❖ **Abstact :**

The muslim religion conciders ,encouraging litérature and ennobled by the broad horizons that incude matter and sprit ,it can not be a religion in wich all thse beautiful qualities ,and it reject poetry which is the production of sincere feelings ;in a beautiful language template .If we put in the balance of the islamic religion ;we see him added value honor .

❖ **Key words** :

Poetry islamic ;Aesthetic poetry ,Rhetoric quranic,Commitment .